

**بلاغة التكرار في قصص القرآن**  
**« دراسة نظرية تطبيقية »**

**إعداد**

**الدكتور / محمد عبد الوهاب إبراهيم الراسخ**

**مدرس التفسير وعلوم القرآن**

**بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا**

**جامعة الأزهر الشريف**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  
سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.  
وبعد

مما لا شك فيه أن البيان القرآني فيه تصريف القول على ألوان متعددة،  
متباينة في حقيقتها، متلاقية في غايتها، وقد بلغ القرآن الكريم الغاية القصوى في  
الإعجاز البلاغي واللفظي، ومن وجوه إعجازه ما ورد من تكرر في القصص  
القرآني وبخاصة قصص الأنبياء.

فلقد تكررت قصص الأنبياء فذكرت قصة نوح عليه السلام عدة مرات، وذكرت  
قصة عيسى عليه السلام عدة مرات، وذكرت قصة إبراهيم عليه السلام عدة مرات، وإنه يبدو  
بادي الرأي أن ذلك مما يباه العقل وفيه التكرار، ولكن عند التأمل نجد أن ما يعتقد  
أنه تكرر في القرآن ليس من قبيل التكرار المردود، لأن التكرار المردود يكون فيما  
لو حذف المتوهم تكراره ما نقصت الغاية، وما اختل بيان المقصد، وتكرر القرآن  
ليس على هذا بل هو تكميل لا بد منه، وتتميم لا يستغنى عنه، فما تكرر من  
قصص القرآن ليس من التكرار الآلي الممل الذي يخل بالفن ويعيبه النقاد، لأن  
الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن في مواطن مختلفة ولكن في أثواب جديدة مع  
تصرف بارع في صيغ التعبير وطرق الأداء وإعادة الكلام في الموضوع الواحد مع  
التنوع والطرافة والتجديد، وهذا وجه من بلاغة القرآن وإعجازه.

ومن هنا فقد اكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة من زاويتين :  
الأولى : أن في هذا الموضوع رداً واضحاً وصريحاً على الشبه التي  
أثيرت حول مسألة ورود تكرر في القرآن وما يسببه من ملل للقارئ والسماع.

الثانية : أن هذا الموضوع يضيف إلى التعبير القرآني جمالا ورونقا وذلك يتمثل في إبراز المعنى الواحد في صور متعددة.

لأجل ذلك وغيره وقع اختياري على هذا الموضوع « بلاغة التكرار في قصص القرآن » حتى يتسنى لي بيان أن تكرار عرض القصة الواحدة في أكثر من موضع بالقرآن هو لون عظيم من ألوان الإعجاز القرآني، وليس عيبا في التعبير القرآني كما يروج له أعداء الإسلام، وكما يظنه قليلوا التدبر في كتاب الله.

وقد وقعت هذه الدراسة في مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمة.  
المقدمة : وقد تضمنت أهمية الموضوع وسبب اختياره ومحتويات البحث.

المدخل : ملامح القصص القرآني. ويتضمن ثلاث نقاط :

? ? ? : القصة القرآنية « تعريفها وبيان فوائدها استخدامها في القرآن الكريم ».

? ? : خصائص القصة القرآنية.

? ? : أنواع القصص في القرآن الكريم.

? ? ? : ظاهرة التكرار في القصص القرآني. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : وقفة مع مصطلح التكرار من حيث تعريفه وموقف العلماء من إطلاقه على البيان القرآني.

المطلب الثاني : الرد على الشبهة المثارة حول التكرار في القرآن.

المطلب الثالث : دواعي تكرار القصص القرآني.

? ? : نموذج تطبيقي يبرز أسرار التكرار في القصص

القرآني « مواجهة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون

والسحرة بعد إظهار معجزته».

? : وقد تضمنت أهم النتائج وثبتاً بالمراجع والفهارس.

وبعد

فما كان في هذا البحث من جهد وتوفيق فمن الله وحده، وما كان من قصور فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه، وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد عبد الوهاب إبراهيم الراسخ

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بطنطا

?

? ? ? ?

### ويتضمن ثلاث نقاط

- النقطة الأولى : القصة القرآنية [ تعريفها وبيان فوائدها  
استخدامها في القرآن الكريم ]
- النقطة الثانية : خصائص القصة القرآنية.
- النقطة الثالثة : أنواع القصص في القرآن الكريم.

## النقطه الأولى

### القصة القرآنية « تعريفها وبيان فوائد استخدامها في القرآن الكريم »

#### أ - تعريف القصة :

حين ننظر إلى المعنى اللغوي للقصة نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني، فالقصة مشتقة من « القص » وهو تتبع الأثر، جاء في لسان العرب : « يقال : قصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ لَأُخْتَبِهٖ قُصِّيهٖ ﴾ (١) أي اتبعي أثره » (٢).

وفي مفردات ألفاظ القرآن : « القص : تتبع الأثر، يقال : قصت أثره، والقصص : الأثر. قال تعالى : ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (٣) ... والقصص : الأخبار المتتبعه، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (٤) ..... والقصاص : تتبع الدم بالقتل، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ (٥) « (٦).

والقصة في القرآن إنما تتبع أحداثاً ماضية واقعة، وتعرض منها ما ترى عرضه، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم قصصاً (٧).

(١) القصص : ١١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٧ / ٧٣ مادة : قصص، ط : دار صادر - بيروت، ط : الأولى.

(٣) الكهف : ٦٤.

(٤) آل عمران : ٦٢.

(٥) البقرة : ١٧٩.

(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١ / ٦٧٢، ط : دار العلم - دمشق ١٤١٢ هـ.

(٧) خصائص الأسلوب القصصي المعجز، ت / محمود السيد حسن ص ١٥٩، ط : المكتب الجامعي الحديث.

فالمقصود بـ « قصص القرآن » : إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، فقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه (١).

### ب - فوائد استخدام القصة في القرآن :

قال تعالى : ﴿ فَأَقْصِصْ أَلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) « أبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوق القصة القرآنية قاصراً على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل. إن في تلك القصص لعبراً جمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزهاً عن قصد التفكه بها. من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفارقة موزعة على مقامات تناسبها » (٣).

« فالقصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، وإنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى الوسائل لإبلاغ

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ / مناع القطان ص ٣٠٠، ٣٠١، ط : مكتبة وهبة، ط ١٣ - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) الأعراف : ١٦٧.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١ / ٦٣، ط : مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

هذه الدعوة « (١) ».

من هنا كان لابد أن نتعرض لأهم فوائد استخدام القصة في القرآن، ويمكن بيانها في النقاط الآتية :

١ - إن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة، وذلك أسلوب لم يكن معهودا للعرب، فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن، إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه، فالعرب بتوغل الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه ففقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجاهلوا معظمها، وجاهلوا أحوال البعض الذي علموا أسماءه فأعقبهم ذلك إعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها (٢).

٢ - إن التجارب التربوية تدل على أن المواعظ الدينية التي تعرض على هيئة قصصية أشد تأثيرا على المخاطبين، لأنها تبعث الأحاسيس فيهم حتى يتأثروا من الأحداث والوقائع القصصية المختلفة (٣).

٣ - تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم وعظمة الأمم والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور، كما وعظهم قوله تعالى عن قوم عاد : ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (٤) فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وملاءمات حياة

(١) نظرات في القصص القرآني. ت / محمد عبد العال ١ / ١١، ط : مكة - رابطة العالم الإسلامي.

(٢) التحرير والتنوير ١ / ٦٥، ٦٦ بتصرف.

(٣) دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم ت / برستو قياسوند، علي باقر طاهري ص ٣، ط : التراث الأدبي.

(٤) فصلت : ١٥.



الناس تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها (١).

٤ - أن ينشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما سادته أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذ رضوا من العزة باغتيال بعضهم بعضاً، فكان منتهى السيد منهم أن يغنم صريمة، ومنتهى أمل العالمي أن يرعى غنيمة، وتفاصرت همهم عن تطلب السيادة حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم فأصبحوا كالأتباع للفرس والروم، فالعراق كله واليمن كله وبلاد البحرين تبع لسيادة الفرس، والشام ومشارفه تبع لسيادة الروم، وبقي الحجاز ونجد لا غنية لهم عن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجارتهم، فجاء القرآن ليعلمهم أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء : من الاستعداد والاعتماد، سلموا من تسلط غيرهم عليهم (٢).

٥ - غاية القصة القرآنية تتمثل في الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها، والتي أدتها للمجتمع الإسلامي بمختلف نحله ومشاربه، فالقصة القرآنية وهي تحكي حال الرسل والأنبياء السابقين وحال الذين اتبعوهم وكيف نصرهم الله لصبرهم وتمسكهم بعقيدتهم، أثرت أيما أثر في نفوس المسلمين الذين آمنوا برسالة سيدنا محمد <sup>٥</sup> ورفعت روحهم المعنوية، وزادت ثقتهم بالمستقبل، بل ودفعتهم - كما تؤكد بعض الدراسات - إلى نشر الدعوة وتحمل الألم والأذى في سبيلها والتمسك بكل القيم التي دعا إليها هذا الدين، والإيمان بها، والدعوة إليها، والدفاع عنها، والوقوف ضد القوى المعادية لها مادية كانت أم بشرية (٣).

٦ - لم يقتصر تأثير القصة القرآنية على المسلمين فحسب، وإنما امتد تأثيرها إلى الكفار أيضاً، والقصة القرآنية هي تروي ما آل إليه حال الكفار في

(١) التحرير والتنوير ١ / ٦٦.

(٢) المرجع السابق ١ / ٦٦.

(٣) الفن القصصي في القرآن الكريم ت / محمد أحمد خلف الله ص ٢١٢، ط : مكتبة

الأجلو المصرية، ط : الرابعة ١٩٧٢ م.

الأزمة السابقة من هزيمة ونكبات وابتلاءات وأمراض، وقد كانوا يملكون قوى لا يملكها من آمن بالأنبياء والرسل ضععت نفوس الكفار الذين آذوا النبي <sup>^</sup> وثبت في قلوبهم الوهن والضعف والخذلان، الأمر الذي جعلهم في قلق خشية أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم، وآيات القرآن التي تتحدث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفٌ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُوتُ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بُشِّرُ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ <sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ <sup>(٢)</sup>، <sup>(٣)</sup>.

٧ - هناك فوائد أخرى للقصة القرآنية تتعلق بقضايا الوحي والرسالة، منها

:

أ - إظهار صدق النبي <sup>^</sup> في دعوته : فالقصة القرآنية بما تحويه من أحداث حقيقية وقعت في التاريخ تشهد بأن الرسول <sup>^</sup> هو الذي لم يعرف القراءة والكتابة ولم يكن له اتصال بأحبار اليهود والنصارى، ولم يكن له سابق اطلاع على أي كتب سماوية توحى إليه، وهكذا تثبت القصة القرآنية صدق الوحي والرسالة.

ب - ثبات الأساس الواحد لكل الشرائع وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإفراده <sup>عَلَى</sup> بالوحدانية، وهذا ما أشار إليه قصص الأنبياء والمرسلين.

ج - إثبات أن أساليب الدعوة واحدة : فلقد كانت أساليب الأنبياء والرسل

(١) الحج : ٧٢.

(٢) التوبة : ١٢٤، ١٢٥.

(٣) قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني. ت/عبد اللطيف رجب القانوع ص ١٤

الجامعة الإسلامية - غزة - كلية أصول الدين - قسم التفسير علوم القرآن.

في تبليغ الدعوة واستقبال أقوامهم لها واحدة كما يتضح ذلك من القصص القرآني.  
د - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم (١).

مما سبق يتضح لنا أن القصص القرآني لم يذكر لمجرد التسلية أو الترفيه  
عن النفس، وإنما الهدف منه هو العظة والعبرة قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ  
عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ  
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٣٠٢، وقضايا الأمة وعلاجها في

القصص القرآني ص ١٤.

(٢) يوسف : ١١١.

## النقطة الثانية خصائص القصة القرآنية

انفردت القصة القرآنية بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص، ومن هذه الخصائص ما يلي :

??? : ? ? ? ? ?

فالقصة القرآنية وإن كانت تقوم على أغراض دينية بحثة إلا أن هذه الأغراض نجدها تتحقق في ظل الجمال الفني الذي يسبر أغوار النفس الإنسانية، ويودع في الوجدان أعماق الآثار، وقد تناول الشيخ / سيد قطب (1) هذه الخصيصة بشيء من التفصيل، وبين أبرز عناصر الجمال الفني في القصص القرآنية على النحو الآتي :

أ - تنوع طريقة العرض : يلاحظ في قصص القرآن أربع طرائق مختلفة للابتداء في عرض القصة على النحو التالي :

١ - مرة يذكر ملخصاً للقصة يسبقها، ثم يعرض التفاصيل بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصة « أهل الكهف » فهي تبدأ هكذا : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرْبَتَا عَلَيْنَا آذَانَهُمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٢).

ذلك ملخص للقصة، ثم تتبعه تفاصيل تشاورهم قبل دخولهم الكهف وحالتهم بعد دخولهم، ونومهم، ويقظتهم، وإرسالهم واحدا منهم ليشتري لهم طعاماً،

(١) سيد قطب : هو سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، من أشهر مؤلفاته : « في ظلال القرآن، أعدم سنة ١٩٦٧ م ». الأعلام للزركلي ٣ / ١٤٧، ط : دار العلم للملايين، ط : الخامسة ١٩٨٠ م.

(٢) الكهف : ٩ - ١٢.

وكشفه في المدينة، وعودته، وموتهم، وبناء المعبد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم... الخ، فكان هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات.

٢ - ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل خطواتها، وذلك كقصة موسى في القصص، وهي تبدأ هكذا : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (١). ثم يمضي في تفصيلات قصة موسى : مولده ونشأته ورضاعه وكبره وقلته المصري وخروجه...، فكان هذه المقدمة التي تكشف الغاية من القصة كانت تمهيداً مشوقاً لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة.

٣ - ومرة تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجأتها الخاصة ما يغني، وذلك مثل قصة مريم عند مولد عيسى.

٤ - ومرة يحيل القصة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي يعرض لقصة إبراهيم وإسماعيل في بناء الكعبة، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ (٢). هذه إشارة البدء. أما ما يلي ذلك فمتروك لإبراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنْكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) إلى نهاية المشهد الطويل.

(١) القصص ٢ - ٦.

(٢) البقرة : ١٢٧.

## ب - تنوع طريقة المفاجأة :

١ - فمرة يكتف سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة حتى يكشف لهم معا في آن واحد. مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف، فهي تجري هكذا : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آءِئِنَّا غَدَاءٌ لَّعَدْنَا لَفَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسَبًا ۖ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ آءَانَارِهِمَا قَصَصًا ۖ ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آءِئِنَّهُ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۖ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ، مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مَّآ عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبِيرًا ۖ ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُجُوعِ أَهْلِهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا رَّكِيَةً بَعِيرٍ نَقِيسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ ﴿٧٤﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۖ ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآءَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١).

فإلى هنا نحن أمام مفاجآت متوالية، لا نعلم لها سراً، وموقفنا منها كموقف بطلها موسى، بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ولا نبيننا القرآن باسمه تكلمة للجو الغامض الذي يحيط بنا... ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي

الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا حَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴿١﴾ وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدا.

٢ - ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، وقد شاهدنا مثلاً من ذلك في قصة أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَافٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ تَابِعُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢) وبينما نحن نعلم هذا، كان أصحاب الجنة يجهلونهم : ﴿ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا كَمَا كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلِقُوا وَهُمْ يَنْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْتُمَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣) . وقد ظللنا نحن النظارة نسخر منهم، وهم يتنادون ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم، حتى انكشف لهم السر أخيراً : ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلضَّالِّينَ ﴿٢٦﴾ بَلْ لَحْنٌ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٤) وذلك جزاء من يحرم المساكين.

٣ - ومرة يكشف بعض السر للنظارة، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة. مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿٥﴾ فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معها حينما :

(١) الكهف : ٧٩ - ٨٢.

(٢) القلم : ١٧ - ٢٠.

(٣) القلم : ٢١ - ٢٥.

(٤) القلم : ٢٦ ، ٢٧.

(٥) النمل : ٤٢.

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾<sup>(١)</sup>.

٤ - ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته، وذلك كمفاجآت قصة مريم حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل، فتقول: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾<sup>(٢)</sup> نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه « الروح » ولكن الموقف لم يطل، فقد أخبرها: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup>.

ج - الفجوات بين المشهد والمشهد التي يتركها تقسيم المشاهد و « قص « المناظر، بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب، ويمكن أن نلاحظ فيما عرض من القصص السابقة.

د - التصوير : فالتعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري، لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى.

وهذا التصوير في مشاهد القصة ألوان : لون يبدو في قوة العرض والإحياء كما في قصة أصحاب الجنة، ولون يبدو في تخيل العواطف والانفعالات ورسوم الشخصيات كما في قصة موسى مع العبد الصالح<sup>(٤)</sup>.

(١) النمل : ٤٤.

(٢) مريم : ١٨.

(٣) مريم : ١٩.

(٤) التصوير الفني في القرآن، ت / سيد قطب ص ١٨٠ - ٢٠٠ بتصرف، ط : دار

الشروق، ط : ١٧ / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.



ومن مظاهر الجمال الفني للقصة القرآنية إضافة إلى ما ذكر :

### مشاركة المخاطب في تكميل التصاویر بقوة الخيال : فالقصص القرآنية

تثير الخيال في المخاطبين مع كونها حقيقة، كما نرى في قصة موسى، فإنها تذهب بالمخاطب إلى واد طوى، حتى يرى التكلم بين الله تعالى وبطل القصة موسى، وتدعوه إلى استماع كلام الله : ﴿إِنِّي أَنَارُبُّكَ فَآخَلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١) فيرى المخاطب خلال القصة إجمالاً، يثير الخيال والفكر والتأمل فيه، حتى يجد علاقة وجسراً بين اللقطات والعرضات المختلفة في القصة (٢).

(١) طه : ١٢.

(٢) دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون ص ٥.

## ثانياً : الواقعية في رواية القصة .

فالأحداث القرآنية حقيقية كلها، والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأنه لا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقاً للواقع، وأنه منزّه عن التصوير الفني الذي لا يعني فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صورة بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة (١).

يقول تعالى مؤكداً على واقعية القصص القرآنية : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصُّ الْحَقُّ ﴾ (٢) ويقول تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

## ثالثاً : القصة القرآنية توظف انتباه القارئ :

إن المتأمل في القصة القرآنية يجد أنها ذات أسلوب مشوق، تشد القارئ وتوظف انتباهه دون توان أو تراخ، يتابع أحداثها بتأمل دائم في معانيها وتتبع مواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها حتى آخر كلمة فيها، ذلك أن القصة القرآنية تبدأ غالباً بالتتويه بمطلب أو وعد، أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم قبل الوصول إلى حل هذه العقدة مطالب أو مصاعب أخرى تزيد القصة حبكة، كما تزيد القارئ أو السامع تشوقاً وتلهفاً على الحل أو النتيجة، ففي مطلع قصة يوسف عليه السلام مثلاً، تعرض على القارئ رؤيا يوسف التي رآها في المنام يصحبها وعد من الله على لسان أبيه، فأوصاه أن يكتُم ذلك في صدره ويحفظه سرا بينه وبين نفسه، ولا يحدث بذلك إخوته، ولهذا نجد أن المصائب تتابع على بطل القصة - يوسف عليه السلام -، ويتابع القارئ اهتمامه وينتظر

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٣٠٤.

(٢) آل عمران : ٦٢.

(٣) القصص : ٣.

تحقيق وعد الله ليوسف مترقباً انتهاء هذه المشكلات والمصائب بتلهف وشوق<sup>(١)</sup>.  
كذلك نجد قصة ابني آدم في سورة المائدة تصور فظاعة الحسد والحقد  
والعدوان عند أحد الأخوين، كما تصور الرحمة والتسامح عند الأخ الآخر، ونجد  
أيضاً أنها تنتهي بصغر نفس الأخ الحاسد، يقول الله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ  
أَبْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ  
إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

?? ? ? ? ? ? ?

يدرك أي متأمل أن القصة القرآنية تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها  
الكاملة متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن الكريم إبرازها للكائن البشري،  
ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيعرض عرضاً صادقاً يليق  
بالمقام، ويحقق الهدف التربوي من عرضه، ذلك أن من أهم غايات القصة القرآنية  
التربية الخلقية عن طريق علاج النفس البشرية علاجاً واقعياً.

فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، لأنها إنما جاءت  
علاجاً لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ  
على طبيعته، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل  
والمؤمنون، والذي تؤول إليه القصة بعد الصراع والمكابدة والجهاد والمرابطة، أو  
الذي ينتهي عنده المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص، والتردي البشري في  
مهاوي الشرور والرذيلة علاجاً ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو ما استطاعت  
إلى أعلى القمم، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية  
الخاسرة للمشركين الذين استسلموا إلى الضعف والنقص، ولم يستجيبوا لنداء ربهم،

(١) انظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلاوي ص ٢١٠، ٢١١،

ط : دار الفكر - سوريا، ط : الثالثة.

(٢) المائدة : ٢٧.

فيزكوا أنفسهم، ويهذبوا أخلاقهم<sup>(١)</sup>.

: ? ? ? ? ? ? ?

فالمسألة الهامة في القصص القرآني هي الوصول إلى الأغراض التربوية والدينية، وعلى ذلك يمكن أن تبهم أسماء الأشخاص والأماكن والأزمنة وغيرها من العناصر.

إن القصة القرآنية تتفق مع سائر القصص في أنها لا بد لها من شخص، وحوار، وحدث، وأنها قد تهمل بعض هذه العناصر لعدم الاعتداد بأمرها، ولعدم تعلق الغرض بذكرها<sup>(٢)</sup>.

: ? ? ? ?

وسياتي الحديث عن هذه الخصيصة بشكل تفصيلي في المبحث الأول - إن شاء الله -.

### النقطة الثالثة

### أنواع القصص في القرآن الكريم

لقد استخدم القرآن الكريم كل أنواع القصة، وعرضها في أحسن صورة، والقصة في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

: ? ? ? ? ? ? ?

وقد تضمنت دعوة الأنبياء لأقوامهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذابين، مثل قصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وبنو إسرائيل، وصالح وثلمود، وهود وعاد، وشعيب ومدين، ولوط وقريته، ومحمد<sup>ؐ</sup>، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين - عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى التسليم -.

(١) انظر : أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبد الرحمن النحلوي ص ٢١٢.

(٢) بحوث في قصص القرآن. ت / عبد الحافظ عبد ربه ص ٥٢، ط : دار الكتاب

اللبناني - بيروت.

والقصة التاريخية من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن في الجدل مع مخالفيه، وفي التبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب النبي ومن اتبعه، وفي الدلالة على صدق نبوة محمد <sup>^</sup> وأنه مبلغ عن ربه.

? ? ? : ? ? ?

المقصود بها : رصد الوقائع، وإبراز أحداث تتسم بطابع الكلية، وإبراز شخصيات تأخذ شكل نماذج بشرية، فعلى سبيل المثال : المنافقون الذين أعلنوا الإسلام وتظاهروا بالمحبة الصافية، لكن قلوبهم تنطوي على المرض والحقد والغدر والمكر، فهؤلاء لم يقولوا كلمة الإسلام بصدق لينتظموا في عقد الأنصار، بل كانوا أشد ضرراً، وأبلغ في الأذى، وفي هذا المعنى يقول - جل شأنه - : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ وَإِنَّا لِلَّهِ كَاذِبُونَ ﴾ (١).

كذلك التكذيب والكفر اللذان كانا من أقوام الأنبياء مثل كفر بن نوح قال تعالى : ﴿ قَالَ يَنْفُخُ فِيهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) فمن الآية الكريمة يتبين أنه كان كافراً يعمل عمل الكافرين، والكفر يقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من الأقرين ويوجب براءة بعضهم من بعض (٣).

? ? ? : ? ? ?

ويقصد بها كل قصة بدأت بما ينبئ أنها مثل مضروب لمشابهة حال المخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين، ودلت أحداثها على أماكن وقوعها، فعلى سبيل المثال يقول تعالى في سورة الكهف : ﴿

(١) البقرة : ١٤.

(٢) هود : ٢٨.

(٣) تفسير المنار للشيخ / محمد رشيد رضا ١٢ / ٧١، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠ م.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾  
 كَلَّمَا الْجِنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكُلْهَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْدَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ  
 لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ  
 قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ  
 خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ  
 نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ  
 قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ  
 خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهِيَ  
 غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ  
 مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴿١﴾

إن هذه القصة بما تضمنته من تفصيل تضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم  
 الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعترزة بزينة الحياة، والنفس المعترزة بالله،  
 وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس (٢).

(١) الكهف : ٣٢ - ٤٤ .

(٢) راجع أنواع القصص في: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني ص ٨ - ١٠ .



## تمهيد :

يعتبر التكرار من الخصائص الفنية والأدبية للقرآن الكريم في عرض القصص، وما هذا من نقصها بل علة من علل أصالة معانيها التي فيها العبرة والموعظة، لأن الألفاظ تابعة للمعاني.

فالتكرار في القرآن هو إعجاز من إعجازه ووجه جديد من وجوه البلاغة لم ينطق به قبل القرآن لسان، ذلك أن الكلام الذي يتكرر يثقل ويسقط، أما التكرار الذي وقع في القرآن فإنه كان في المواضع التي جاء فيها نغماً جديداً من أنغام الحسن الرائع أضيف إلى تلك الأنغام السارية في القرآن كله. لنقرأ هذا المقطع : ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ (١) فنرى الآيات تنطق بلحن موسيقي يفيض رحمة وينبض جلالاً وقوة، يهتف بالنفوس الشاردة أن ترجع إلى ربها.

ولقد كان هذا التكرار على تلك الصورة المرددة مدخلا يدخل منه أصحاب الأهواء ليخوضوا في كتاب الله وليطعنوا في بلاغته بهذا التكرار المتتابع، ويقصدون من ذلك التقليل من روعة الأسلوب القرآني وإخراجه عن المستوى الرفيع للبلاغة، ولكننا نقول لهؤلاء جميعاً إن عليهم أن يتصلوا بأسرار العربية ويتذوقوا بلاغتها الرفيعة حتى تتكشف لهم الحقائق ويرتادوا أصولها العميقة (٢).

من هنا كان لابد أن نلقي الضوء على ظاهرة التكرار في القصص القرآني « تأصيلاً وتطبيقاً » حتى تتضح لنا أسرارها وتظهر فوائده.

(١) الرحمن : ١٣.

(٢) خصائص الأسلوب القصصي المعجز ص ١٣٤، ١٣٥.



## المطلب الأول

### وقفه مع مصطلح التكرار من حيث تعريفه وموقف العلماء من إطلاقه على

#### البيان القرآني

???: ? ?? ?? ?

التكرار في اللغة : مصدر لفعل ثلاثي مجرد ومزید، فالمجرد من : « كَرَّ عليه كَرًّا وكروا وتكرارا بمعنى : عطف، وكَرَّرَ عنه بمعنى : رجع «، والمزید من : « كَرَّرَهُ تَكْرِيرًا وتكرار بمعنى : أعاده مرة بعد أخرى « (١).

والتكرار في اصطلاح علماء البيان : هو إعادة الكلام أو الموضوع مرة أخرى، وقد يكون في هذه الإعادة إضافة جديدة في الألفاظ أو المعاني، وقد يقصد صاحب التكرار من تكراره تحقيق غرض أو تأكيد معنى، فيكون تكراره لحكمة مقصودة (٢).

? : ? ?? ?

اختلف العلماء حول مسألة إطلاق مصطلح التكرار على البيان القرآني : فذهب جمهور البيانين والمفسرين إلى أنه لا مانع من القول بالتكرار في البيان القرآني، واعتبروه تكرارا حكيما مقصودا، وأسلوبيا بلاغيا رفيعا، كما اعتبروه تكرارا « مضيفا » يضيف القرآن فيه في كل مرة جزءا من المعنى، أو لفظا جديدا، ويفعل ذلك لهدف بلاغي وحكمة مرادة (٣).

ومن العلماء الذين لم يروا غضاضة في إطلاق مصطلح التكرار الإمام ابن قتيبة (٤) حيث يقول تحت عنوان " باب تكرار الكلام والزيادة فيه " : « وأما

(١) لسان العرب ٥ / ١٣٥ مادة : كرر، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٤٢٣ مادة

: كرر، ط : دار الفكر، وتاج العروس للزبيدي ١٤ / ٢٧، ط : دار الهداية.

(٢) إعجاز القرآن البياني. د / صلاح الخالدي ص ٣١٠، ط : دار عمار، ط : الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٣) إعجاز القرآن البياني ص ٣١٠.

(٤) الإمام ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، النحوي اللغوي،

كان فاضلا ثقة، وتصانيفه كلها مفيدة منها : غريب القرآن ومشكل القرآن، توفي سنة

ست وسبعين ومائتين للهجرة. طبقات المفسرين للأندروني ١ / ٤٤، ط : مكتبة العلوم

والحكم، ط : الأولى ١٩٩٧ م.

تكرار الأنباء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض، تيسيراً منه على العباد، وتدرجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ : تنبيهها لهم من سنة الغفلة، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد الموعظة « (١) .

وتبعه في ذلك الإمام الزركشي (٢)، حيث قال وهو يعدد ضروب التكرار: « ومنه تكرار القصص في القرآن كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء » ثم استعرض بعد ذلك فوائد تكرار القصص (٣).

ومال بعض البيانين والمفسرين إلى عدم القول بالتكرار في البيان القرآني رغم اعترافهم بوجود معناه ومضمونه في القرآن، فهم لا يسمون هذه الظاهرة البيانية البلاغية تكراراً، لما أثاره المغرضون من شبهات على التكرار، ولما يلقيه مصطلح « التكرار » من ظلال ومعان قد لا تليق بالبيان القرآني، منها إعادة عرض الآية أو الجملة أو الفكرة أو المعلومة بدون هدف أو إضافة. وأطلقوا على هذه الظاهرة البيانية مصطلح « التنويع » وقالوا : القرآن ينوع في عرض موضوعاته وأفكاره وحقائقه، ويورد بعضها أكثر من مرة، وفي أكثر من موضع، وهو في كل مرة يقدم إضافة جديدة لفظية أو معنوية (٤).

ومن العلماء الذين عدلوا عن مصطلح التكرار، واستعملوا مصطلحات

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٢، ط : المكتبة العلمية - بيروت، ط : الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) الإمام الزركشي : هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، عالم بفقهاء الشافعية والأصول، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. الأعلام للزركلي ٦ / ٦٠، ط : دار العلم، ط : الخامسة ١٩٨٠ م.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣ / ٢٥، ط : دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط : الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

(٤) إعجاز القرآن البياني ص ٣١١.

أخرى « كالتصريف والتنويع واختلاف العبارات » الإمام الرماني <sup>(١)</sup>، حيث قال :  
« أما تصريف المعاني في الدلالات المختلفة، فقد جاء في القرآن في غير قصة،  
منها قصة موسى عليه السلام ذكرت في سورة الأعراف وفي طه والشعراء وغيرها لوجوه  
من الحكمة، منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها  
تمكين العبرة والموعظة، ومنها حل الشبهة في المعجزة» <sup>(٢)</sup>.

وقد أكد هذا التصريف الإمام الشاطبي <sup>(٣)</sup> فقال : « وبهذا النوع الثاني  
اختلفت العبارات وكثير من أفاصيص القرآن، لأنه يأتي مساق القصة في بعض  
السور على وجه، وفي بعضها على وجه آخر، وفي ثالث على وجه ثالث » <sup>(٤)</sup>.

ويقول صاحب الظلال : « ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص  
القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة  
الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من  
ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان  
هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار » <sup>(٥)</sup>

والحق أنه لا مانع من إطلاق مصطلح التكرار على البيان القرآني بشرط  
توضيح معناه ومضمونه منعا للبس ودفعاً للشبهة.

(١) الإمام الرماني : هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، النحوي المتكلم أبو  
الحسن، أحد الأئمة المشاهير، توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. طبقات المفسرين  
للأذنروي ١ / ٨٨.

(٢) النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ١٠١، ١٠٢، ط : دار المعارف - القاهرة.

(٣) الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصولي حافظ، كان من  
أئمة المالكية، توفي سنة ٧٩٠ هـ. الأعلام ١ / ٧٥.

(٤) الموافقات للشاطبي ٢ / ١٠٦، ط : دار ابن عفان، ط : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧

وعلى ذلك يمكن القول بأن التكرار ظاهرة بارزة في البيان القرآني المعجز، ومظهر من مظاهر إعجاز القرآن، وهو إعادة عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات، ولكن هذا التكرار حكيم ومقصود ومضيف، فعندما يكرر القرآن ذلك يكرره لحكمة يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني، كما أنه مضيف، يضيف القرآن في كل مرة لفظاً أو معنى، أو معلومة أو فكرة<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أكده الدكتور / البوطي، حيث قال : « وقد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها أو عرض الجانب الواحد منها بحسب الظاهر، ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة فيقتضي الغرض الديني أن يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كل عبرة من عبرها، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقف بصدده، حتى لكأنك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك »<sup>(٢)</sup>.

(١) إعجاز القرآن البياني ص ٣١١.

(٢) من روائع القرآن للشيخ البوطي ص ٢٣٢، ٢٣٣، ط : مكتبة الفارابي.

## المطلب الثاني

### الرد على الشبهة المثارة حول التكرار في القرآن

في القرآن الكريم قصص تكررت أكثر من مرة، وآيات ترددت في مواضع عديدة، وألفاظ وردت في مواطن متعددة. وبينما اعتبر البيانيون والمنصفون التكرار في البيان القرآني مزية بيانية، وقيمة بلاغية، وسموا تعبيرياً، وأسلوباً فنياً عالياً، استنكر فريق آخر من المشككين وأصحاب العقول المريضة ظاهرة التكرار، وجعلوه دليلاً على الضعف والنقص في البيان القرآني، وجعلوه تهمة للقرآن، وشبهة تثار حول تعبيره، وشاهدًا على عدم إعجازه<sup>(١)</sup>، ويقولون: لماذا يكرر القرآن في بيانه وموضوعاته؟ ولماذا لا يذكر القرآن الموضوع الواحد في مكان واحد؟ ولماذا يفرق هذا الموضوع على عدة سور؟ ولماذا يكرر القرآن آية في سورة واحدة؟ ويقولون: إن القرآن إذا حذف منه المكرر لم يبق منه إلا القليل. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. هذه هي الشبهة التي يثيرها المشككون بمسلمات هذا الدين، وينسجون حولها خيوط العنكبوت: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وللرد على هذه الشبهة نقول:

إن التكرار في القرآن الكريم أمر موجود لا شك في ذلك إلا أنه ينبغي أن يعلم أن التكرار الواقع في القرآن الكريم يبين التكرار الكائن في كلام البشر، إذ إن هذا الأخير لا يسلم عادة من القلق والاضطراب، ويعد عيباً في الأسلوب يعاب عليه الكاتب. والتكرار في كلام الله سبحانه ليس هو التكرار المعهود والمذموم في كلام البشر، إذ هو تكرر محكم، ذو وظيفة يؤديها في النص القرآني، يعرف ذلك كل من خبر طبيعة النص القرآني وخصائصه، ونستطيع أن نقول: إن التكرار في

(١) إعجاز القرآن البياني ص ٣١٠.

(٢) العنكبوت: ٤١.

القرآن يؤدي وظيفتين اثنتين، الأولى : وظيفة دينية، غايتها تقرير وتأكيد الحكم الشرعي الذي جاء به النص القرآني، أما الوظيفة الثانية للتكرار، فهي وظيفة أدبية تتمثل في تأكيد المعاني وإبرازها وبيانها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم.

وحتى يكون ردنا على هذه الشبهة بشكل تطبيقي يتعين علينا عرض الوجوه التي ورد عليها التكرار في القرآن لنبين فيها وظيفة التكرار، وكيف أنه ظاهرة أسلوبية ملفتة تجذب المتلقي وتثير مشاعره بما تحمله من روعة بيانية بعيدة عن الضعف والركاكة، فنقول :

إن التكرار يأتي في القرآن بأنماط أسلوبية متنوعة تبعاً لتنوع المقام، والمخاطب، والملقي، فهي تبدأ من الحروف، وتمتد إلى الكلمة، وإلى العبارة، وإلى الآية، بل وإلى القصة بأكملها، وكل نمط من تلك الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للتكرار :

١ - فظاهرة تكرار الحرف موجودة بكثرة في القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ ۚ ﴾ (١) ثم جاء في السورة نفسها : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ۚ ﴾ (٢) فمن الظواهر اللغوية التي تلفت الانتباه هي تكرار حرف « لا » فقد ذكر خمس مرات، وجاء هذا التكرار ليتناسب مع السياق الذي وردت فيه، فقد جاءت لتعبر عن صفات البقرة التي اشترط الله - سبحانه وتعالى - نذبحها من أجل إظهار القاتل، فجاءت « لا » زيادة في التأكيد والتقرير، ولتلائم حال المخاطب، وهم بنو إسرائيل الذين أكثروا المراجعة في أمر البقرة، وذلك لخوفهم من الفضيحة في إظهار القاتل، ولغلاء ثمن البقرة (٣)، فكرر

(١) البقرة : ٦٨ .

(٢) البقرة : ٧١ .

(٣) تفسير البيضاوي ١ / ٣٤٣، ط : دار الفكر - بيروت.

الله - سبحانه وتعالى - « لا » فجاءت كل صفة مقترنة بـ « لا » للتأكيد على صفات البقرة المعنية المقصودة بذلك، خشية أن تذبح بقرة أخرى بحجة أنهم لم يستطيعوا تمييز البقرة المقصود في الآية الكريمة، فالخداع معروف عنهم، وهذا التكرار يشير كذلك إلى بطلان فهمهم.

٢ - أما تكرار الكلمة فيؤدي وظيفة سياقية، تعرضها طبيعة اللغة المستخدمة، وإلا أصبح التكرار مجرد إعادة، ونمطياً، لا يثير في السامع أو القارئ أي انفعال أو إثارة، والكلمة إما أن تكون فعلاً أو اسماً، وجاء تكرار الاسم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٣٦) ثم قال: ﴿ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (٣٧) فالظاهرة الأسلوبية في هاتين الآيتين هي تكرار « الأسباب » وجاء هذا التكرار لوضع المتلقي في الحالة النفسية التي يمر بها فرعون، فمع أنه يتكبر ويدعي الألوهية إلا أنه يشعر في داخله برهبة ما سيقدم عليه، فلو قال: « لعلي أبلغ أسباب السماوات » مباشرة دون تكرار لأظهر أنه سيقوم بأمر عادي، ولكنه ذكر « أسباب » في البداية، ثم أوضح هذه الأسباب وهي « أسباب السماوات » وذلك لتفخيم شأنها، لأن بلوغها أمر عجيب، وذلك لتهيئة السامع إلى ما يعتزم فعله (٣).

أما تكرار الفعل، فكان له دور فاعل في آيات القصص، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٧) فمن الظواهر

(١) غافر : ٣٦ .

(٢) غافر : ٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٤ / ١٩٨ .

(٤) المائدة : ٢٧ .

الأسلوبية البارزة في هذه الآية تكرر فعل « يتقبل » فذكر ثلاث مرات، وذلك للتنبيه على أن هذه الآية لا تختص بـ « قابيل وهابيل » فقط، بل تخص كل ما يريد أن يتصدق أو يتقدم بقران إلى الله - سبحانه وتعالى - فليس المهم تقديم القران، بل المهم قبول الله - سبحانه وتعالى - فإله لا يقبل الطاعة إلا من المؤمن التقي.

٣ - وجاء تكرر العبارة أو الجملة، أو الآية بأكملها، كوسيلة للإلحاح، وللإعادة، والتأكيد على ما في ذهن الملقى. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في سورة الرحمن، فقد تكرر فيها قوله تعالى : ﴿ فَيَأْتِيءَ آءَاءَ رَبِّكَ مَا تُكَدِّبَانِ ﴾ (١) حيث المقام في هذه السورة كان مقام تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق والمعاد، وذكر النار وشدائدها، ووصف الجنان ونعيمها، فاقضى كل ذلك هذا التكرار للآية الكريمة، وتنبيهاً على نعم الله، وتقديراً لموجد هذه النعم حق قدره، وحثاً على شكره.

٤ - وهناك أيضاً تكرر مضمون المعنى دون لفظه، كما في قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) من خلال هذه الآية تبرز ظاهرة أسلوبية وهي تكرر مضمون المعنى ثلاث مرات، وكان يكفي أن يذكر المعنى مرة واحدة ليفي بالغرض، ولكن كان التكرار لوضع السامع في الحالة النفسية والشعورية التي يمر بها فرعون في تلك اللحظة فهو يغرق، ولا يبعده عن الموت إلا لحظات، فكرر المعنى مرتين واللفظ مرة بنفس المعنى، حرصاً منه على قبوله آملاً بالنجاة من عذاب الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا والآخرة، فكان لهذا أثره على نفس المتلقي، فيستطيع

(١) الرحمن : ١٣.

(٢) يونس : ٩٠.



من خلاله أن يلحظ حالة الخوف الشديد التي مر بها فرعون لحظة موته، ليكون عبرة لمن بعده، فهو الذي كان يدعي الألوهية.

٥ - وهناك أيضاً تكرار بعض الأوامر القرآنية، ومن أمثلة ذلك : تكرار الأمر باستقبال القبلة، فقد أمر الله رسوله محمداً <sup>١</sup> والمسلمين باستقبال القبلة الجديدة، بعدما نسخ القبلة السابقة إلى بيت المقدس، وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات في ثلاث آيات متقاربات من سورة البقرة.

أ - قال تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ <sup>(١)</sup>.

ب - وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

ج - وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وقد يظن بعض أصحاب النظر القاصر أن هذا التكرار لغير حكمة، وأنه عيب يوجه إلى القرآن، مع أن هذا التكرار كان لحكمة مقصودة، وهدف مراد، والأمر باستقبال القبلة أضاف في كل مرة معنى جديداً، ويمكن إدراك ذلك بالنظر في السياق العام لكل آية.

فالأمر الأول باستقبال القبلة : جاء بعد الحديث في الآية عن رغبة رسول الله <sup>١</sup> بتحويل القبلة عن بيت المقدس، فكان الأمر بالتوجه إلى القبلة الجديدة استجابة من الله لهذه الرغبة، مما يدل على منزلة الرسول <sup>١</sup> عند الله.

وبعد الأمر باستقبال القبلة الجديدة جاء الكلام في نفس الآية تقريراً لحقيقة

(١) البقرة : ١٤٤.

(٢) البقرة : ١٤٩.

(٣) البقرة : ١٥٠.

قاطعة وهي علم أهل الكتاب اليقيني أن ما عليه المسلمون هو الحق، وأن قبلتهم الجديدة هي الحق، ولذلك جاءت الآية هكذا : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَهُ لَرَضْنَا بِفَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (١).

والأمر الثاني باستقبال القبلة : ورد في سياق جديد لهدف جديد، جاء بعد أربع آيات من الآية التي ورد فيها الأمر الأول، كان الكلام في تلك الآيات عن معرفة أهل الكتاب للحق، وتركهم له عنادا، ومعرفتهم بأن الرسول <sup>^</sup> حق كما يعرفون أبناءهم، والكلام فيها حول تثبيت الرسول <sup>^</sup> وأمته على الحق، ودعوتهم إلى استباق الخيرات.

ونصت الآية التي فيها الأمر الثاني على أن هذا الأمر هو الحق، وأن القبلة الجديدة هي الحق من الله، وهذا الحق ثابت باق دائم، لن ينسخه الله، ولذلك جاءت الآية هكذا : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

والأمر الثالث باستقبال القبلة : ورد لهدف جديد وهو تقوية يقين الجماعة المسلمة أنها على الحق، ولقطع حجة أعدائها الكافرين، ودعوة المؤمنين إلى عدم خشية الأعداء والثبات على الحق، وشكر الله على هذه النعم.

ولذلك جاءت الآية هكذا : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِيَنَّكُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَمَلَكُمُ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣) (٤).

(١) البقرة : ١٤٤.

(٢) البقرة : ١٤٩.

(٣) البقرة : ١٥٠.

(٤) في ظلال القرآن ١ / ١٣٦ - ١٣٨.

بهذا نعرف حكمة تكرار الأمر باستقبال القبلة ثلاث مرات، وأنه في كل مرة أضاف معنى جديد، وورد في سياق جديد، وركز على هدف جديد.

٦ - ومن أبرز وجوه التكرار في القرآن تكرار القصص، وهذا ما سنقف عليه بشكل تفصيلي في المطلب التالي - إن شاء الله تعالى - (١).

وبعد هذا العرض لوظيفة التكرار في القرآن يتبين لنا ضعف هذه الشبهة، ووهنها، وكذلك تساقطها، وتبين أيضا أن ما يقوله أصحابها إنما هو قول بغير علم، وهو أقرب إلى أن يكون جعجة لا تسمن ولا تغني من جوع، وأن الحق أحق أن يتبع لو كانوا يعلمون.

---

(١) راجع الوجوه التي ورد عليها التكرار في القرآن في : الإطناب في قصص القرآن لعائشة أحمد عرسان ص ٢٥ - ٢٩، جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا - فلسطين ٢٠٠٩ م. وإعجاز القرآن البياني ص ٣١١ - ٣١٨.

## المطلب الثالث

### دواعي تكرار القصص القرآني

إن تكرار بعض القصص في مواطن مختلفة من سور القرآن الكريم ليحمل في طياته أسراراً جليلة وحكما تضاف إلى جوانب إعجاز القرآن الكريم، حيث لم تلتزم القصة القرآنية طريقاً واحداً من حيث الطول، والقصر، والإجمال، والتفصيل، وإن القصص التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله لا نجد منها قصة واحدة ذكرت في سورتين بطريقة واحدة، ثم إن ذكر القصة أكثر من مرة لم يكن هدفه ذكر القصة بذاتها، بل جاءت لتتوافق في السياق.

من هنا كان لا بد أن نلقي الضوء على دواعي تكرار القصص القرآني، ويمكن إجمالها فيما يلي :

**أولاً :** التكرار يبرز البلاغة القرآنية في أسمى صورها، حيث إن تكرار الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز واستعارات أو كناية، وتفنن الألفاظ وتركيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات مثل : ﴿وَلَيْنَ رُئِدَتْ﴾ (١) ﴿وَلَيْنَ رُجِعَتْ﴾ (٢) وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة (٣).

**ثانياً :** الإعجاز : فالله ﷻ أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي : بأي نظم جاءوا، وبأي عبارة عبروا (٤).

(١) الكهف : ٣٦.

(٢) فصلت : ٥٠.

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٦٧.

(٤) الصحابي في فقه اللغة لابن فارس ص ١٧٧، ط : مؤسسة بدران - بيروت، والبرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٧، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣ / ١٥٨، ط المكتبة التوفيقية.

**ثالثاً :** أنه لما تحداهم قال : ﴿ فَأَتُوا سُورَةَ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (١) فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها، لقال العربي : انتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزلها الله - سبحانه وتعالى - في تعداد السور، دفعا لحجتهم من كل وجه (٢).

**رابعاً :** أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم آخرين، وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين (٣).

**خامساً :** أن القصة الواحدة من هذه القصص كقصة موسى مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ، فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة من انفراد كل قصة منها بموضع كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة، فاجتمعت في هذه الخاصة من نظم القرآن عدة معان عجيبة :

منها : أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة ولا أحدث ملاماً فباين بذلك كلام المخلوقين.

ومنها : أنه ألبسها زيادة ونقصاناً وتقديماً وتأخيراً ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها فيكون شيئاً معاداً فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات.

ومنها : أن المعاني التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص

(١) البقرة : ٢٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٧، والإتيان في علوم القرآن ٣ / ١٥٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٣، ٢٣٤، والبرهان ٣ / ٢٦، والإتيان ٣ / ١٥٨.

صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التغيير - ميلا إلى سماعها لما جبلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة.

ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي <sup>^</sup> يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم وبيان وجوه التأليف فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ولا يقع على كلامه عدد (١).

سادساً : أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام (٢).

سابعاً : تنوع الأغراض والمناسبات التي تساق من أجلها القصة :

يقول صاحب التحرير والتنوير : « إن القرآن بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتأليف، وفوائد القصص تجتليها المناسبات وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى. كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعت المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة إنه أعاد الخطبة، بل إنه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته، وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي » (٣).

فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق،

(١) البرهان ٣ / ٢٧، ٢٨.

(٢) البرهان ٣ / ٢٦، والإتقان ٣ / ١٥٨.

(٣) التحرير والتنوير ١ / ٦٧.

ويحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد (١).

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الألوسي (٢) حيث قال : « وأيا ما كان فلا يعد ذكر هذه القصة - يقصد قصة آدم وإبليس - هنا في الكهف مع ذكرها قبل تكرارها لأن ذكرها هنا لفائدة غير الفائدة التي ذكرت لها فيما قبل وهكذا ذكرها في كل موضع ذكرت فيه من الكتاب الجليل، ومثل هذا يقال في كل ما هو تكرر بحسب الظاهر فيه. ولا يخفى أن أكثر المكررات ظاهرا مختلفة الأساليب متفاوتة الألفاظ والعبارات، وفي ذلك من الأسرار الإلهية ما فيه فلا يستزلنك الشيطان » (٣).

تلك كانت نظرة إجمالية إلى أسرار تكرار القصص، وقد عرضتها بشكل نظري، وستضح ملامحها بصورة أكبر في الدراسة التطبيقية التالية - إن شاء الله تعالى - .

(١) التعبير القرآني لفاضل السامرائي ص ٢٨٣، ط : دار عمار، ط : الثالثة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) الإمام الألوسي : محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء مفسر، محدث، أديب، من المجددين، توفي سنة ١٢٧٠ هـ. الأعلام ٧ / ١٧٦

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٨ / ٢٧٨، ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ.

## المبحث الثاني

### نموذج تطبيقي يبرز أسرار التكرار في القصص القرآني

?      ???      ?      »

«      ?      ?



## تمهيد :

من أبرز القصص القرآنية التي ذكرت في القرآن أكثر من مرة قصة سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وذلك لأنه هو الذي نزلت عليه التوراة وفيها المبادئ المقررة في الشرائع السماوية وكثير من أحكام المعاملات فيها لم ينسخ، ولأنها تبين أحوال اليهود وتظهر أوصافهم الحقيقية من الشك والتردد في الحق.

والممتع لقصة سيدنا موسى في القرآن يجدها متعددة العبر في جهاده وفي قومه وفيما لقيه وهو من أولي العزم من الرسل الذين جاهدوا في الله حق جهاده، ففي كل واقعة من وقائع حياته عبرة.

وقد وقع اختياري في هذه القصة الكبيرة على موقف المواجهة التي دارت بين موسى وبين فرعون وسحرته، وذلك لأن هذا الموقف يعتبر من أكثر مواقف القصة ذكرا إن لم يكن أكثرها، وكأن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن يلفت انتباهنا إلى أهمية ما يحويه هذا الموقف من دروس وعبر، ناهيك عن طريقة عرض هذا الموقف في السور التي ورد فيها، فكل سورة تحمل لقطه ومشهدا غير الذي تحمله الأخرى وأسلوب عرض كل مشهد مختلف عن الآخر مما يجعل القارئ ينسب مع أحداث القصة دون إحساس بملل أو شعور بوجود تكرار مخل بنظم التعبير القرآني، ولا أخفي أيضا بأنه مما فتح شهيتي للكتابة في هذا الموقف تعدد مشاهدته وسرعة أحداثه وكثرة الأطراف المشاركة فيه، فهو مجال خصب للحديث، واستنباط أسرار التكرار الواردة فيه.

هذا وسيدور كلامنا في هذه الدراسة التطبيقية حول نقطتين :

**الأولى :** عرض المواضع التي وردت فيها المواجهة وتفسير كل موضع على حدة.

**الثانية :** بيان الفوائد والأسرار من خلال تقسيم هذه المواجهة إلى عدة مواقف، والحديث عن كل موقف على حدة من حيث مواضع تكراره والأسرار المستنبطة من ذلك.

## النقطة الأولى

:- ? ? ? ? ? ? ? ?

: ? ??? ? ?? ? ???

**الموضع الأول في سورة الأعراف :** قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ  
 فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ  
 وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١١ ﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ١١٢ ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ  
 فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١١٣ ﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ  
 ١١٤ ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ١١٥ ﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا  
 سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَهُ بِسِحْرِ عَزِيمٍ ١١٦ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى  
 أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٨ ﴿ فغَلِبُوا  
 هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ١١٩ ﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ١٢٠ ﴿ قَالُوا ءَأَمْنَابِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢١ ﴾ رَبِّ  
 مُوسَى وَهَارُونَ ١٢٢ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنَتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ  
 لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ١٢٣ ﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ لَكُمْ  
 أَجْمَعِينَ ١٢٤ ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ١٢٥ ﴾ (١).

**الموضع الثاني في سورة يونس :** قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ  
 سِحْرٍ عَلِيمٍ ٧٩ ﴾ فَلَمَّ جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٨٠ ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ  
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ٨١ ﴾ (٢).

**الموضع الثالث في سورة طه :** قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آرَيْنَهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا  
 فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٦ ﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ٥٧ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ  
 مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ٥٨ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ  
 الرِّيبَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ٥٩ ﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠ ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى

(١) الأعراف : ١٠٩ - ١٢٥.

(٢) يونس : ٧٩ - ٨١.

وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَنَزَعُوا أَمْرَهُم بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يُمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأُلْقَى السِّحْرُ سِحْرًا قَالُوا أَمْ آتَى رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنْعَلَمَنَّ أَتَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ ﴿١﴾

**الموضع الرابع في سورة الشعراء :** قال تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا

لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا نُؤْتِكُ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلْنَا نَبْعِثُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِيِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَبِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقُوا جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِهِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِحْدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمْ آتَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿١﴾

(١) طه : ٥٦ - ٧٢ .

(٢) الشعراء : ٣٤ - ٥٠ .

?-? ?

١ - تفسير الموضع الأول الوارد في سورة الأعراف :

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ ١١٠ ﴾ أي بعد أن عرض موسى ﷺ معجزته التي تمثلت في إلقاء العصي فإذا هي ثعبان مبین، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. ﴿ قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي الأشراف منهم وهم أهل مشورته ورؤساء دولته، وكان خطابهم موجهاً لعامة الناس مبلغين عن فرعون ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي مبالغ في علم السحر ماهر فيه ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ أي من أرض مصر ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي تشيرون، وهم في هذه المقولة موافقون لقول فرعون فيه بعدما رجع إليه روعه، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك قال للملأ حوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ فوافقوه وقالوا كمقالته وتشاوروا في أمره، كيف يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته وظهور كذبه وافترائه، وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون، فيكون ذلك سبباً لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم، فلما تشاوروا في شأنه اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (١١٣) يَا تُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿ ١١٢ ﴾ قال ابن عباس : « أرجه » أخره. وقيل : احبسه، « وأرسل » أي ابعث « في المدائن » أي في الأقاليم ومدائن ملكك « حاشرين » أي من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم، وقد كان السحر في زمانهم غالباً كثيراً ظاهراً، واعتقد من اعتقد منهم وأوهم من أوهم منهم أن ما جاء به موسى ﷺ من قبيل ما تشعبه سحرتهم، فلماذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البيئات « يَا تُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ » أي ماهر في السحر ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى ﷺ إن غلبوا موسى ليثيبنهم، وليعطينهم عطاءً جزيلاً، فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أردوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده، فلما توثقوا من

فرعون ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبَهُمْ وَجَاءَهُو بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ هذه مبارزة من السحرة لموسى ﷺ في قولهم : ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ ﴾ أي : قبلك، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ (١) فقال لهم موسى ﷺ : « ألقوا » أي : أنتم أولاً قبلي، والحكمة في هذا - والله أعلم - ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبَهُمْ ﴾ أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴿١١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿١١٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١١٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١١٩﴾ ﴾ (٢).

عن ابن عباس : ألقوا حبلاً غلاظاً وخشياً طويلاً. قال : فأقبلت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

وقال محمد بن إسحاق : صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى ﷺ معه أخوه ينكئ على عصاه، حتى أتى الجمع، وفرعون في مجلسه مع أشرف أهل مملكته، ثم قال السحرة : ﴿ يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿١١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ ﴾ (٣) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصى فإذا حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَجَاءَهُو بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾.

(١) طه : ٦٥.

(٢) طه : ٦٦ - ٦٩.

(٣) طه : ٦٥، ٦٦.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ  
 وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾  
 قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى ﷺ في ذلك الموقف العظيم الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه «فإذا هي تلقف» أي : تأكل « ما يأفكون » أي : ما يلقونه ويوهمون أنه حق وهو باطل.

قال ابن عباس : فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته « فوقع الحق » أي : ظهر وتبين أمر موسى ﷺ « وبطل ما كانوا يعملون » أي : ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله « فغلبوا » أي : فرعون وقومه « هنالك » أي : في ذلك المجمع العظيم « وانقلبوا صاغرين » أي صاروا أذلاء أو رجعوا إلى المدينة أذلاء، وعرفت السحرة أن هذا شيء من السماء، ليس هذا بسحر، فخرروا سجداً وقالوا : « آمنة برب العالمين » أي : مالك أمرهم والمتصرف فيهم، وقوله : ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون - لعنه الله - كان يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهٖ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ ءَأَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا ءَأَنفُسَنَا ۖ وَإِنَّا لَمَّا جَاءَ تَنَارَ رَبِّنَا أَفْرَغْنَا عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

يخبر تعالى عما توعد به فرعون - لعنه الله - السحرة لما آمنوا بموسى ﷺ، وما أظهره للناس من كيد ومكره في قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا ﴾ أي : إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك، كقوله في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهٗ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ (١)

وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل، فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من مدين دعا فرعون إلى الله، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ممن اختار هو والملا من قومه، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعباء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون، وموسى عليه السلام لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به، وفرعون يعلم ذلك، وإنما قال هذا تستترا وتديساً على رعا ع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن قوما صدقوه في قوله: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ <sup>(٢)</sup> من أجهل خلق الله وأضلهم، فلماذا قال ما قال.

وقوله: ﴿ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ أي: تجتمعون أنتم وهو، وتكون لكم دولة وصولية، وتخرجون منها الأكابر والرؤساء، وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿ فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ أي: ما أصنع بكم.

ثم فسر هذا الوعيد بقوله: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ﴾ يعني: يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس، و﴿ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ <sup>(٣)</sup> أي: على الجذوع.

قال ابن عباس: وكان أول من صلب وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون.

وقول السحرة: ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، ونكاله ما تدعوننا إليه وما أكرهتنا عليه من السحر أعظم

(١) الزخرف: ٥٤.

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) طه: ٧١.

من نكالك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله (١).

## ٢ - تفسير الموضع الثاني الوارد في سورة يونس :

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَحْرِ عَلِيمٍ ﴾ أي : بعد ما أظهر موسى عليه السلام معجزته أمر فرعون أتباعه بأن يجمعوا السحرة المهرة حتى يواجهوا موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ وإنما قال لهم ذلك لأنهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل : ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَى مِنْ لَقَى ﴾ (٦٥) قال بلّ القوّاء ﴿ فأراد موسى أن تكون البداية منهم ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدفع باطلهم.

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ ﴾ أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ﴾ أي : سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي : لا يثبتته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (٢)

## ٣ - تفسير الموضع الثالث الوارد في سورة طه :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعاین ذلك وأبصره، فكذب بها وأبأها كفراً وبغياً كما قال تعالى : ﴿ وَحَدِّثْ إِلَىٰهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (٣).

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥٥ - ٤٥٩، ط : دار طيبة، ط : الثانية ١٤٢٠ هـ -

١٩٩٩ م، وتفسير القرطبي ٧ / ٢٥٦ - ٢٦٠، ط : دار الكتب المصرية - القاهرة،

ط : الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، وتفسير البغوي ٣ / ٢٦٣ - ٢٦٦، ط : دار

طيبة، ط : الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، وتفسير الألوسي ٥ / ٢٣ - ٢٨.

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٣ / ٢١٠، ٢١١، وتفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٣٦٢،

٣٦٣ ط : دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ، وتفسير روح البيان لإسماعيل

حقي ٤ / ٣٧، ٣٨ ط : دار إحياء التراث العربي.

(٣) النمل : ١٤.



﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ﴿٥٩﴾ ۖ ﴾

يقول الله تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهي إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء، فقال : هذا سحر جنئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعوك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحراً مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي يوماً نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جنئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين ﴿ لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾

قال مجاهد وقتادة : منصفاً، وقال السدي : عدلاً، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم « مكانا سوى » مستو بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا يتغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى.

فعند ذلك قال لهم موسى « موعدكم يوم الزينة » وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم ليشاهد الناس قدرة الله تعالى على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال : « وأن يحشر الناس » أي : جميعهم « ضحى » أي : ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء، ولهذا لم يقل ليلاً ولكن نهراً ضحى.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ۖ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى ﷺ إلى مكان

ووقت معلومين تولى، أي : شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته ثم أتى، أي : اجتمع الناس إلى ميقات يوم معلوم، وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته، وأقبل موسى عليه السلام متوكئاً على عصاه ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفاً وهو يحرضهم ويرغبهم في إجادة عملهم : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ ﴾ أي : لا تخيلوا للناس بأعمالكم إجاداً أشياء لا حقائق لها وأنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتهم على الله « فيسحطكم بعذاب » أي : يهلككم بعقوبة هلاكاً لا بقية له « وقد خاب من افترى » « فتنازعوا أمرهم بينهم » قيل : معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم، فقاتل يقول : ليس هذا كلام ساحر وإنما هو كلام نبي، وقاتل يقول : بل هو ساحر، وقيل : غير ذلك - والله أعلم - .

وقوله : ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ أي : تناجوا فيما بينهم ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ .

الغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه - يعنون موسي وهارون - ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم : « ويذهبا بطريقتكم المثلى » أي : ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر .

فإنهم كانوا معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها : ﴿ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا ﴾ أي : اجتمعوا كلكم صفاً واحداً، وأطلقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا موسي وأخاه، ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ أي : منا ومنه، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرِ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ .

يقول الله تعالى مخبراً عن السحرة حيث توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى « إما أن تلقي » أي : أنت أولاً، و « وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ». وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة وكانوا جمعاً غفيراً فألقى كل منهم عصا وحبالاً حتى صار الوادي ملاً من حبات يركب بعضها بعضاً.

وقوله : « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى » أي : خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم قبل أن يلقى ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألق ما في يمينك، يعني عصاك فإذا هي تلقف ما صنعوا، وذلك أنها صارت تتيناً عظيماً ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تبتلع تلك الحيات والعصى ولم تبق منها شيئاً، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جهرة نهاراً ضحوة، فقامت المعجزة ووقع الحق وبطل السحر، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾، قوله : « فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى » سبحان الله ما أعجب أمرهم، قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ذلك بساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين.

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيديكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وعناده حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم، شرع في المكابرة والبهت، فتهددهم وتوعدهم، وقال : « آمنتم له » أي : صدقتموه « قبل أن آذن لكم

« أي : كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم فإن أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع » إنه لكبيركم الذي علمكم السحر « أي : أنتم أخذتم السحر عن موسى، وانفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي لتظهروه، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم أخذ يتهددهم فقال : ﴿ فَلَا قِطْعَةَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ أي : على الجذوع.

وقوله : ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ أي أنتم تقولون : إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى، فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه.

فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله ﷻ، و﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أي : لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين، ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ يحتمل أن يكون قسماً، ويحتمل أن يكون معطوفاً على البيئات. يعنون : لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت. « فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ » أي : فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك « إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » أي : إنما لك تسلط في هذه الدار، وهي دار الزوال ونحن قد رغبتنا في دار القرار (١).

#### ٤ - تفسير الموضع الرابع الوارد في سورة الشعراء :

قوله : ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٤) أي : قال فرعون لملائته وحاشيته بعد أن رأى قوة معجزة موسى وخاف من تأثر الناس به، قال : « إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ » أي : فاضل بارع في السحر، فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم على مخالفته والكفر به، فقال : « يُرِيدُ أَنْ

(١) تفسير ابن كثير ٥ / ٢٩٩ - ٣٠٤، وتفسير الخازن ٣ / ٢٠٦ - ٢٠٨، ط : دار

الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ، وتفسير القرطبي ١١ / ٢١١ - ٢٢٥.

يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ « أي يريد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب سحره فيكثر أعوانه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا علي ماذا أصنع ؟ « قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ » تقدم تفسيره.

قوله تعالى : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٣٨) ذكر الله تعالى في هذه الآيات أن السحرة قد جاءوا بعد أن تم جمعهم من أقاليم بلاد مصر وكانوا إذ ذاك أسحر الناس، وقوله : « فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ » أي : لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة، « وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ » استنبطاً لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم، وقال قائلهم : « لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ » أي : في دينهم، « إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ » لا موسى ﷺ ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ ﴾ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا إِذَا لِمَنِ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ .. ﴿ تقدم تفسيره.﴾

﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي : بقوته ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴾ لا موسى ﷺ... ﴿ فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (٤٥) فَالْقَى السَّحَرَةُ سِدْحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا يَا مَرْيَمُ الْقَائِمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ يَا مَرْيَمُ قَبْلِ أَنْ آدَانَ لَكُمُ الْإِنْسَانَ لَكَبِيرًا الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لِأَفْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿ تقدم تفسيره ﴾ قَالُوا لَا ضَيْرٌ ﴿ أي : لا حرج ولا يضيرنا ذلك ولا نبالي به ﴾ ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ ﴿ تقدم تفسيره (١).﴾

### النقطة الثانية

## بيان الفوائد والأسرار التي يمكن أن تستنبط من التكرار الواقع في هذه المواجهة

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧ / ٥٦٦ - ٥٧١، ط : دار هجر، ط : الأولى، وتفسير الرازي ٢٤ / ١١٤ - ١١٧، ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، وتفسير ابن كثير ٦ / ١٣٩ - ١٤١.

قبل البدء في بيان الفوائد المستنبطة من التكرار الواقع في هذه المواضع تتبغي الإشارة إلى أن من روعة التعبير القرآني أن الصور القرآنية المتعددة للحدث الواحد إذا ضم بعضها إلى بعض قامت فيها صورة واحدة هي صورة مكبرة لكل واحدة من هذه الصور على حدة، بحيث إذا نظرت في الصورة الكبيرة ثم نظرت في أي من الصور الصغيرة تجد الملامح هي الملامح والصورة هي الصورة وإن حملت الصورة الكبيرة ألوانا أكثر وشغلت مساحة أكبر.

هذا وسيكون عملي مع هذه المواجهة أنني سأقسمها إلى عدة مواقف ثم أجمع لكل موقف المشاهد التي وردت له لأدلل على أن كل مشهد منها يحتوي على فائدة ثمينة وجوهرة فريدة تتضم إلى أختها في المشهد الآخر، وفي النهاية ينتظم هذا الموقف في عقد فريد من حبات متناغمة متناسقة لا تنفك إحداها عن الأخرى، وإليك عرض المواقف :

الكلية ? ? ? : ? ? ?  
? ? ? ? ? ? ? ?

وقد ورد هذا الموقف في موضعين :

? ? ? : في سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝٢٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾

?? ? : في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾

وهنا يبدو للوهلة الأولى أن الرد واحد في كلتا السورتين، ولكن عند التعمق في النظر والتدبر يظهر أنهما صورتان لا صورة واحدة، والشاهد على ذلك اختلاف القائل، فالقائل في سورة الشعراء هو فرعون - لعنه الله -، والقائل في سورة الأعراف هم ملأه وحاشيته، وعلى ذلك فلك أن تتأمل معي الصورة كاملة من خلال هذين المشهدين لتدرك مدى روعة التعبير القرآني، وكيف أضاف كل واحد

من المشهدين للآخر معنى وفائدة جديدة، فالمشهد الذي ورد في سورة الشعراء يصور لنا فرعون وقد أحس بضخامة وقوة معجزة موسى ﷺ فأسرع يقاومها ويدفعها وهو يحس بضعف موقفه، فقال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم، وفي مقولة فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة وإن كان يسميها سحرا فهو يصف صاحبها بأنه ساحر عليم، ويبدو أنه ذعر وخاف من تأثير قومه بموسى فأراد أن يستثير عواطفهم بأحب شيء إلى قلوبهم وهو حب الوطن والتعلق به، فضرب على هذا الوتر حتى يبعدهم عن موسى، فقال :

﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ﴾ ثم انظر فهاهو ذا يبدي تواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إليها فيطلب أمرهم ومشورتهم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

ثم تأتي آية الأعراف لتتم لنا هذه الصورة المليئة بمشاعر الهجس والخوف الذي أحاط بفرعون وملأه، فنقول : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ . وتأمل معي فيها هي مقولة فرعون التي في الشعراء بكل ما تحمله من تحذير تجد صداها في ملأه وحاشيته فتتلقفها آذانهم وينطلقون بها إلى عامة الناس مبلغين عن فرعون ومحذرين ومرددين ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ وهكذا تتناغم آية الأعراف مع آية الشعراء لينتظم منهما هذا الموقف الذي تبدو فيه حالة الفزع التي أصابت فرعون ونقلها إلى حاشيته بعدما شاهدوا قوة المعجزة التي جاء بها موسى ﷺ من عند الله.

يقول صاحب الكشاف : « فإن قلت : قد عزی هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزی هاهنا إليهم. قلت : قد قاله هو وقالوه هم، فحكى قوله ثم قولهم هاهنا. أو قاله ابتداء، فتلقته منه الملأ، فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك، يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة، ثم تبلغه الخاصة العامة » (١).

(١) تفسير الكشاف ٣ / ١٣٩.

ولعل الاحتمال الأخير أقرب للصواب، والذي يدل على أن ذلك قوله وأنهم فيه مؤدوا رسالة عنه قول العامة في جوابه ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ فكان هذا خطابا لفرعون ولم يكن للملأ، إذ لو كان لهم لقبيل أرجوه وأخاه، وإذا كان كذلك لم يخالف ما قاله في الشعراء من أنه قال للملأ حوله، بل يكون هو البادي بذلك لمن حوله ليؤدوا إلى من بعد عنه قوله (١).

وقد يسأل سائل عن سر اختصاص سورة الأعراف بحكاية ما قال الملأ، وسورة الشعراء بما قال فرعون.

والجواب : أن السياق اقتضى ذلك، فسورة الشعراء أكثر تفصيلا للقصة، حيث إنها عرضت المواجهة من بدايتها وما كان من قول فرعون لموسى : ﴿ قَالَ أَلَمْ تُزَكِّبْنَا وَلَدًا وَلَكِنَّتَ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ ﴾ (٢) إلى أن انتهت الآيات إلى القصة المودعة ذكر السحرة، ولما كان فرعون أول من واجه موسى ﷺ ورد قوله كان المناسب أن يعرض موقفه من معجزة موسى ﷺ في سورة الشعراء لا الأعراف، وهذا ما أشار إليه الخطيب الإسكافي (٣) في درة التنزيل حيث قال : « إن أول من رد قول موسى ﷺ فرعون، ثم ملأه عليه ملأه، وهو ما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء، فاقترضى حاله حيث أخبر عنه بما قاله : ﴿ أَلَمْ تُزَكِّبْنَا وَلَدًا وَلَكِنَّتَ فِينَا مِنْ عَمْرٍكَ سِنِينَ ﴾ إلى أن انتهت الآيات إلى القصة المودعة ذكر السحرة، فقال فرعون للملأ حوله ما أدوه عنه إلى غيرهم، وسورة الشعراء مكية كسورة الأعراف وترتيب الاقتصاص يقتضي أن يكون قبلها، وفي السورة الثانية أخبر عما أداه ملأه إلى الناس الذين أجابوا بأن أرجه وأخاه فكان قول فرعون للملأ حوله سابقا قول

(١) درة التنزيل للخطيب الإسكافي ص ٩٣، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط : الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) الشعراء : ١٨.

(٣) الخطيب الإسكافي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف الحسنة، وكان من أهل أصبهان وخطيبا بالري، توفي سنة ٤٢٠ هـ. بغية الوعاة للسيوطي ١ / ١٤٩، ط : المكتبة العصرية - لبنان - صيدا.



الملائكة الذين أدوا إلى غيرهم، فذكر حيث قوله قصد اختصاص أول ما دعاه موسى إلى طاعة الله ﷻ « (١).

وهناك جواب آخر في سر الاختصاص ذكره ابن الزبير الغرناطي (٢) صاحب ملك التأويل فقال : « لما تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (٣) فوق ذكر الملائكة مبعوثا إليهم مع فرعون ناسب ذلك أن يذكروا في الجواب حتى يكون في قوة أن لو قيل : بعث إليهم وخوطبوا فقالوا ولم يكن ليناسب « بعث إليهم » فقال فرعون. ولما تقدم في سورة الشعراء قوله: ﴿ فَأْتِيَ فِرْعَوْنَ ﴾ (٤) ثم جرى ما بعد المحاوراة ومراجعة الكلام بين موسى ﷻ وفرعون ولم يقع الملائكة هنا ناسب ذلك قوله « قال فرعون » لأنه الذي راجع وخوطب فجاء كل على ما يناسب « (٥).

ويرى الإمام البقاعي (٦) أن سر اختصاص آية الأعراف بقول الملائكة هو أن السياق فيها إنما هو للاستدلال على فسق الكثر، وأما هناك فالسياق لأنه إن أراد - سبحانه - أنزل آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما رأى من موسى ﷻ حتى رضي لنفسه بأن يخاطب عبده - على ما يزعم - بما يقضي أن يكون لهم عليه أمر، فلذا إسناد القول إليه أحسن، لأن النصرة في مقارعة

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ص ٩٣.

(٢) ابن الزبير : أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم، العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي، توفي سنة ٧٨٧ هـ. تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٨٣ - ١٨٤، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط : الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) الأعراف : ١٠٣.

(٤) الشعراء : ١٦.

(٥) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي ١ / ٣٠٢ دار الكتب العلمية - بيروت.

(٦) الإمام البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، برهان الدين البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق، صاحب نظم الدرر، توفي سنة ٨٨٥ هـ، طبقات المفسرين للأندروي ١ / ٣٤٧ - ٣٤٨، ط : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط : الأولى ١٩٩٧ م.

الرأس أظهر، وخضوع عنقه أضخم وأكبر (١).

وفي هذا الموقف تبدو ملاحظة أخرى ينبغي الإشارة إليها وهي اختصاص آية الشعراء بلفظة « بسحره » دون آية الأعراف، وهذه وراءها حكمة جليلة حيث إنه لما أسند الفعل في الشعراء إلى فرعون في قوله : ﴿ قَالَ لِمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٤) وكان فرعون أشدهم تمردا وأولهم تجبرا وأبلغهم فيما يرد به الحق كان في قوله : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ذكر السبب الذي يصل به إلى الإخراج وهو « بسحره » فأشبع المقال بعد قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ بأن ذكر أنه يريد إخراجكم بسحره.

أما في الأعراف فالفعل قد أسند إلى ملاً فرعون في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٩) والملاً لم يبلغوا مبلغ فرعون في إبطال ما أورده موسى ﷺ ولم يجفوا في الخطاب جفاه، ولذلك رددوا مقولة فرعون الأولى وهي : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ واكتفوا بها عن ذكر سبب الإخراج في الثانية حيث إن المقولة الأولى تضمنت سبب الإخراج (٢).

ويشهد أن زيادة « بسحره » من فرعون لزيادة حنقه تكرر ذلك من قوله في سورة طه : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمُوسَى ﴾ (٥٧) (٣)

فإن قال قائل : فقد ذكر الله في سورة طه عن الملاً أنهم قالوا : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطُرُقِكُمْ الْمُتَلَانِ ﴾ (٦٣) (٤) قيل له قوله : ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ (٦٣) قَالُوا إِنَّ هَذَانِ

(١) نظم الدرر للبقاعي ٣ / ٨٠ - ٨١، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) درة التنزيل ص ٩٤، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٩ / ٥٣، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

(٣) طه : ٥٧.

(٤) طه : ٦٣.

لَسَحْرَيْنِ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ خبر عن فرعون وملاه، فلما كان في جملتهم غلب أمره على أمرهم، ألا ترى أن ابتداء ذلك ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ وهذا خبر عن فرعون، ثم قال بعده : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ ﴿قَالَ مَوْعِدِكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴿٣﴾﴾ وهو خطاب لفرعون ومن تبعه، ويجوز أن يكون له وحده على ما يخاطب به الملوك من لفظ الجمع كما يخبرون بمثله عن أنفسهم فذكر قوله بسحره فيما حكاه من كلام فرعون، فلذلك خلا منه الموضوع الذي كان الخبر فيه عن الملاء من قوله (٤).

هذا وقد ذكر صاحب التعبير القرآني في سبب اختصاص آية الشعراء بلفظة « بسحره » أن هذا يتناسب مع مقام التفصيل في الشعراء حيث إن القصة فصلت فيها أكثر مما فصلت في غيرها (٥).

كما أنه يتناسب مع مقام التأكيد على السحر، فإن السحر أكد وكرر في الشعراء أكثر مما في الأعراف، فقد ذكر في الأعراف سبع مرات وفي الشعراء عشر مرات (٦).

وعلى هذا التأسيس الذي ذكرناه في عرض المشهدين يظهر إشكال جديد وهو أنه إذا كان المتكلم في آية الأعراف هم ملاء فرعون وأنهم انطلقوا إلى عامة الناس مبلغين عن فرعون ومحذرين، فيكيف نوجه قولهم للعامة نقلا عن فرعون ﴿

(١) طه : ٦٢ - ٦٣ .

(٢) طه : ٥٦ .

(٣) طه : ٥٧ - ٥٩ .

(٤) درة التنزيل ص ٩٤ .

(٥) أسرار التكرار في القرآن للكرماني ١ / ٨٩، ط : دار الاعتصام - القاهرة، ط : الثانية

١٣٩٦ هـ .

(٦) التعبير القرآني ص ٣٣١ .

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ مع العلم بأن رتبة فرعون تعلو على رتبة العامة، كما أن المشاورة ليست من وظائف العامة ؟ والجواب : أن الأمر العظيم الذي تصيب تبعته أهل البلد يشاور فيه الملك الحازم عوامهم وخواصهم، وقد يجمعهم لذلك ويقول لهم : ماذا ترون فهذا أمر لا يصيبني وحدي، ورب رأي حسن عند من لم يظن به على أن في ذلك جمعا لقلوبهم عليه وعلى الاحتفال بشأنه، وقد شاهدنا أن الحوادث العظام يلتفت فيها إلى العوام، وأمر موسى ﷺ كان من أعظم الحوادث عند فرعون بعد أن شاهد منه ما شاهده (١).

? ? : ? ? : ? ? : ﴿ :  
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ وقد ورد هذا الموقف في موضعين :

? ? ? : في سورة الشعراء في قوله ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ .

? ? ? : في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٣﴾ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ .

وهنا يبدو أيضا أن المقولة واحدة ولكن القائل مختلف، فالقائلون في سورة الشعراء هم ملاء فرعون وحاشيته، والقائلون في سورة الأعراف هم عامة الناس. وحتى تتضح الصورة أكثر نذهب إلى الحدث من جديد لتظهر لنا صورة أخرى من صور الإعجاز القرآني :

ففي سورة الشعراء : بعد أن طلب فرعون المشورة من حاشيته إذا بهم يشيرون عليه وقد خدعتهم مكيدته، وهم شركاء فرعون في باطله، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع على ما هي عليه حتى يبقى لهم نفوذهم، ولذلك أشاروا على فرعون أن يلقي سحره بسحر مثله : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ أي : أمهله وأخاه إلى أجل، وأبعث

(١) تفسير الألوسي ٥ / ٢٤ .

رسلك إلى مدائن مصر الكبرى يجمعون السحرة المهرة لإقامة مباراة للسحر بينهم وبينه.

وها هي آية الأعراف تأتي لتكمل لنا هذا المشهد ببيان حال العامة من قوم فرعون حيث إن طلب فرعون قد وصلهم على السنة حاشيته - كما ذكرت من قبل - وإذا بهم تكون إجابتهم هي نفس إجابة حاشية فرعون (١) : ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٣﴾ يَا تُوَكُّلُ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٤﴾﴾ ويبدو أن توافق الحاشية والعامة على هذا الرد يرجع إلى أن السحر كان غالباً في هذا الزمان فاعتقدوا أن ما جاء به موسى من قبيل ما تشعبه سحرتهم، ولذلك أرادوا أن يجمعوا السحرة لإقامة مباراة للسحر بينهم وبين موسى.

ولكن بالروعة التعبير القرآني، فلم تكن عبارة العامة كعبارة الحاشية تماماً بتمام، بل اختلفت وتفاوتت تبعاً لتفاوت المراتب والطبقات، حيث إننا إذا لاحظنا مقولة العامة وقارناها بمقولة حاشية فرعون يتبين لنا أن بينهما اختلافاً، حيث إن العامة استخدموا لفظة « أرسل » بينما استخدمت الحاشية لفظة « ابعث » وذلك وراءه حكمة جليلة، فقد ذكر صاحب « درة التنزيل » أن اللفظتين نظيرتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وقد جاء بعث الرسول وأرسله معا إلا أن « أرسل » يختص بما لا يختص به « بعث » لأن البعث لا يتضمن ترتيباً، والإرسال أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل، و« أرسل » في سورة الأعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون إليهم، فلما تعالى عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم كما فخم تحميلة ملأه أن يؤدوا كلامه إلى من دونهم، ولما تناولت الحكاية في سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه وتسوية قدرهم بقدره لقوله : ﴿قَالَ لِمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ كان هذا الموضوع مخالفاً للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم، فخص باللفظ الذي

(١) المرجع السابق ٥ / ٢٤.

ليس فيه ما في الأول من التعظيم وهو قوله « ابعث »<sup>(١)</sup>.  
وقد أورد صاحب التعبير القرآني حكمة أخرى في سبب اختصاص آية الشعراء بلفظة « ابعث » واختصاص آية الأعراف بلفظة « أرسل » وهي أن [ ذلك لكثرة تردد فعل الإرسال في الأعراف، فقد تردد فعل الإرسال ومشتقاته ثلاثين مرة في الأعراف، وتردد في الشعراء سبع عشرة مرة فناسب ذلك ذكر الإرسال في الأعراف دون الشعراء.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن المقام في الشعراء يقتضي ذكر الفعل « ابعث » دون « أرسل » ذلك أن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة، فإن فيه معنى الإثارة والإنهاض، والتهييج. فقد جاء في لسان العرب أن البعث في كلام العرب على وجهين : أحدهما الإرسال، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ معناه : أرسلنا. والبعث إثارة بارك أو قاعد، تقول : بعثت البعير فانبعث، أي : أثرته فنثار<sup>(٢)</sup>.

وفي مفردات الراغب أن أصل البعث : إثارة الشيء وتوجيهه<sup>(٣)</sup>.

.... وعلى ذلك فالبعث قد يكون فيه معنى الإرسال، وقد يكون فيه معنى الإنهاض، فلما كان المقام في الشعراء مقام زيادة تحد وقوة مواجهة وشدة غضب من فرعون قال ملاً فرعون : ﴿ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ أي : أرسل الرسل، وعليك أيضاً أن تثبت فيهم النهضة وتهيجهم وتثيرهم على موسى [ <sup>(٤)</sup>.

وفي هذا الموقف تبدو ملاحظة أخرى حيث قال في الأعراف : ﴿ يَا نُؤُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾<sup>(١١٣)</sup> وقال في الشعراء : ﴿ يَا نُؤُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾<sup>(٣٧)</sup>

(١) درة التنزيل ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) لسان العرب ٢ / ١١٦.

(٣) مفردات الراغب ١ / ١٣٢.

(٤) التعبير القرآني ص ٣٣٠ بتصرف.

فقد جاء في الأعراف بصيغة اسم الفاعل « ساحر » وجاء في الشعراء بصيغة المبالغة « سحار » ولعل الحكمة في ذلك ترجع إلى أن سياق المواجهة في الشعراء أكثر تحد منه في الأعراف، وعلى ذلك فإن صيغة « سحار » تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى، فهم أرادوا سحارا بليغا في السحر لا مجرد ساحر.

وهذا يتناسب أيضا مع مقام التأكيد على السحر، فإن السحر أكد وكرر في الشعراء أكثر مما في الأعراف، فقد ذكر في الأعراف سبع مرات وفي الشعراء عشر مرات، فانظر كيف اقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه (١).

? ? ? ? ? : ? ? ?  
? ? ? ? ? :

يمكن القول بأن الحديث عن هذه الخطوات لم يجتمع في صورة واحدة، وإنما ورد الحديث عنها في سورتي طه والشعراء.

وبالرغم من تعدد المواضع إلا أنها تبدو في نهاية الأمر صورة واحدة توضح لنا ما تم فعله من خطوات في تسلسل رائع حيث إنه بعد أن استقر الرأي على دعوة السحرة إذا بفرعون يعود ويمسك بزمام الموقف بعد أن أشاع في قومه هذا الشعور بأن موسى ساحر عليم ثم يظهر هذه المشاعر في تلك الكلمات المتحدية المهددة يواجه بها موسى ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٥٩﴾ ﴾.

وانفض المجلس على هذا، وبدأ فرعون ينفذ خطته، وها هو ذا القرآن يرصد خطواته في سورة طه فيقول : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ ثم نرى المحصول الذي اجتمع من هذا التدبير فما هم أولاء السحرة قد جيء بهم من

(١) المرجع السابق ص ٣٣١.

كل مكان، وها هي ذي أبواق الدعاية تنفخ في كل جهة تدعو الناس إلى أن يكونوا من وراء السحرة مؤيدين وناصرين. قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ لقد بلغ الأمر غايته وأعد له كل شيء.

وبذلك يكون تكرار عرض هذه المواجهة في سورتي طه والشعراء قد أفادنا معرفة هذه الخطوات التي تمت بعد أن استقر الرأي على دعوة السحرة لتحدي موسى.

? ? : وهي أن سورة الأعراف لم تتعرض لبيان شيء من تلك الخطوات، والسبب في ذلك أن سورة الأعراف بنيت على الاختصار في عرض قصة موسى مع فرعون، وذلك لأن موضوعها هو الحديث عن تاريخ بني إسرائيل كله، وبالتالي لم تأخذ قصة موسى مع فرعون والسحرة قدرا من التفصيل الذي ورد مثلا في سورتي طه والشعراء

يقول صاحب «درة التنزيل» : [ إن ما في سورة الشعراء أشد اقتصاصا للأحوال التي كانت بين موسى وبين عدوه فرعون لاشتماله على ذكر ابتداء مبعثه إليه، حيث قال : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ (١) فجاء في هذه الآيات التي في ذكر السحرة من بيان ما جرى ما لم يجيء في سورة الأعراف، فمنه قوله : ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما قال تعالى في سورة طه : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ﴿٥٩﴾﴾ فهذا قوله : ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ وفي سورة الأعراف لما لم يبدأ القصة فيها بذكر مبعثه ﷺ وابتداء أمره لم تكن مبنية على ما بنيا عليه من اقتصاص معظم حاله وأول ما كان من مبعثه حيث يقول : ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

(١) الشعراء : ١٠ - ١١.



قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾<sup>(١)</sup>، فلما كان القصد في سورة الأعراف ذكر المجمل من بعض ما كان ذكر تفصيله، كان الاختصار بعد ذكر إرسال الحاشرين إلى السحرة ومجيئهم يغني عن تواعدهم ليوم يظهرون فيه حيلهم وتمويهاتهم، إذ معلوم أن مثل ذلك الخطب العظيم وحشر العدد الكثير ينتهي إلى يوم يتواعد إليه مشهود، وعلى هذا بني الكلام في أكثر متشابهه هذه القصة [ (٢) ] .

? ? ? : ? ? ? ? ?  
? : ? ? ? ? ?

وقد ورد هذا الموقف في موضعين :

? ? ? في سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ .

? ? في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ .

وبالتأمل في هذين المشهدين نجد أنهما يصوران لنا جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية، تبذل مهارتها في مقابل الأجر، ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، وهاهم يتوثقون من الجزاء، وهاهو فرعون يعدهم بما هو أكبر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه.

وفي هذين المشهدين يبدو لنا أن بينهما عدة اختلافات في صيغ التعبير من إضافة بعض الألفاظ أو اختلاف في الأسلوب، وهذا ما سأقوم بتوضيحه فيما يلي :

### الملاحظة الأولى :

(١) طه : ٢٤ - ٢٥ .

(٢) درة التنزيل ص ٩٥ ، وملاك التأويل ص ٣٠٥ .

أنه قال في الأعراف : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ ﴿ بينما قال في الشعراء : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا ﴾ فأضمر « فلما » في الأعراف، وذكرها في الشعراء. والحكمة في ذلك أن سورة الأعراف بنيت على الاختصار والاقتران في عرض القصة بخلاف الشعراء التي بني عرض القصة فيها على التفصيل، ومن هنا أنت « فلما » التي تشعر بالاسترخاء لتدل على أن السحرة كانوا يتوافدون على فرعون حالا بعد حال (١).

### الملاحظة الثانية :

أنه قال في الأعراف « قالوا » وقال في الشعراء : « قالوا لفرعون » فذكر في الشعراء أنهم قالوا لفرعون، ولم يذكر في آية الأعراف أنهم قالوا له. والحكمة في ذلك أن كل تعبير يتناسب مع السياق الذي ورد فيه، وذلك أنه ذكر في الأعراف أن ملأ فرعون هم الذين قالوا : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ وذكر في الشعراء أن فرعون هو الذي قال ذلك وأنه هو الذي تولى هذه المهمة بنفسه، فناسب ذلك أن يواجهوا فرعون بالقول بخلاف ما في الأعراف (٢).

### الملاحظة الثالثة :

أنه قال في الأعراف على لسان السحرة : ﴿ قَالُوا إِنَّا لَأَجْرَاءٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ ۗ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۗ ﴾ وقال في الشعراء : ﴿ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَبِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ ۗ ﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۗ ﴾ ﴿ فحذف همزة الاستفهام و « إذا » في الأعراف وذكرهما في الشعراء.

وفي تفسير هذا التنوع في صيغ التعبير ذهب فريق من العلماء إلى أن المشهدين الواردين في الأعراف والشعراء مشهدان مختلفان، كل مشهد منهما يصور حالة للسحرة مع فرعون.

(١) أسرار التكرار للكرماني ١ / ٨٩ بتصرف.

(٢) التعبير القرآني ص ٣٣١.

فالمشهد الذي في الشعراء يصور لنا السحرة وقد دخلوا على فرعون، فقالوا : ﴿ أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴾ وهذا الاستفهام الذي يشبه الاستجداء يبدو منه أن السحرة كانوا لا يزالون مأخوذِينَ برهبة الموقف بين يدي فرعون، ولذلك دخلوا عليه بهذا الطلب مدخلا متلطفا مستأذنا ﴿ أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴾ ويلقي فرعون هذا المعنى بوعد مسترخ متعال تفوح منه رائحة التصدق، فقال : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ولك أن تلاحظ ما أضافته « إذا » لهذا المعنى فإنها تقيّد أن وعد فرعون وعد غير منجز ولكنه موقوت بالغلبة على موسى.

أما مشهد الأعراف - من وجهة نظرهم - فقد وقع في حالة أخرى ووقت آخر، حيث إنه وقع في اللحظة الأخيرة قبل أن يواجه السحرة موسى، ومن هنا تغير أسلوب السحرة مع فرعون بعد أن زالت عنهم رهبة الموقف التي حدثت في اللقاء الأول فإذا بهم يتحول استجدائهم إلى طلب واستقضاء لأجر في مقابل عمل، ويعبرون بصيغة الخبر لا بصيغة الاستفهام قائلين : ﴿ إِنَّا لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ ﴾ ولا يملك فرعون إلا أن يضع نفسه تحت تصرف السحرة : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ بعد أن كان قوله لهم : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ وعلاوة على ذلك كله فإن ذكر الهمزة و « إذا » مناسب لمقام التفصيل في الشعراء دون مقام الإيجاز والاختصار في الأعراف (١).

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه مشهد واحد وأن كلام السحرة واحد في الموضوعين وهو الاستفهام عن حصول الأجر لهم في حال انتصارهم على موسى، وقد ورد الاستفهام صريحا في الشعراء على حين أنه أتى في الأعراف في صورة الخبر، وهذا وارد في كلام العرب، فقد تحذف همزة الاستفهام من اللفظ وإن كانت باقية في المعنى، كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّ عَلَىٰ ﴾ (٢) فإنه يذهب كثير من العلماء إلى أن معناه « أو تلك » بالاستفهام، ويقوي هذا الرأي أن آية

(١) درة التنزيل ص ٩٦.

(٢) الشعراء : ٢٢.

الأعراف قد قرأها بصيغة الخبر نافع وابن كثير وحفص عن عاصم في حين قرأها  
الباقون بالاستفهام (١) (٢).

وألح في سر تكرار هذا المقطع أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يظهر لنا  
مدى حرص السحرة على حصولهم على الأجر في حال تغلبهم على موسى  
وكانهم لا يهمهم ملك فرعون، ولا علاقة لهم بدعوة موسى وإنما طلبهم كله هو  
الأجر.

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٤١٥، ط: دار الكتب العلمية - بيروت  
- لبنان.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١٤ / ١٦٣ - ١٦٤، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، وتفسير  
الألوسي ٥ / ٢٥، وتفسير المنار ٩ / ٥٥.

? ? : ? ? ? ?

لاشك أن هذه المواجهة تحمل عدة لقطات ينبغي الوقوف عند كل لقطة منها :

? ? ? : كلام السحرة مع موسى عليه السلام في بداية المواجهة، وقد ورد في موضعين :

**الموضع الأول** في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَكُونًا نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (١١٥).

**والموضع الآخر** في سورة طه في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ (٦٥).

وفي سبب اختلاف صيغ التعبير في هذين الموضعين ذكر العلماء أن المقصود في الموضعين معنى واحد وهو أن السحرة يقولون لموسى : إما أن تبدأ بإلقاء عصاك وإما أن نكون نحن البادئين.

واختصت الأعراف بقوله : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَكُونًا نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ لأن الفواصل قبله على هذا الوزن، واختصت طه بقوله : ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ لأن الفواصل قبله على هذا الوزن (١).

ونلاحظ في تكرار هذا المقطع فائدة وهي عرض المعنى الواحد بأكثر من أسلوب، وهذا أعطى ثراءً في التعبير القرآني وجذب النفوس إليه لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاها بها.

ولاشك أن السحرة ابتدأوا موسى بالتخيير في التقدم إظهاراً لتقنتهم بمقدرتهم وأنهم الغالبون سواء ابتدأ موسى بالأعمال أم كانوا هم المبتدئين، ووجه دلالة التخيير على أن التقدم في التخييلات والشعوذة أنجح للبادئ لأن بديعتها تمضي

(١) درة التنزيل ص ٩٦ - ٩٧، وملاك التأويل ص ٣٠٧.

في النفوس وتستقر فيها، فتكون النفوس أشد تأثراً بها من تأثرها بما يأتي بعدها، ولعلمهم مع ذلك أرادوا أن يسبروا مقدار ثقة موسى بمعرفته مما يبدو منه من استواء الأمرين عنده أو من الحرص على أن يكون هو المقدم، فإن لاستضعاف النفس تأثيراً عظيماً في استرهابها وإبطال حيلتها، وقد جاءوا في جانبهم بكلام يسترهب موسى ويهول شأنهم في نفسه، إذ اعتنوا بما يدل على ذواتهم بزيادة تقرير الدلالة في نفس السامع المعبر عنها في حكاية كلامهم بتأكيد الضمير في قوله: ﴿وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينَ﴾... وقد كان في جواب موسى إياهم بقوله: ﴿أَلْقُوا﴾ استخفاف بأمرهم إذ مكنهم من مباداة إظهار تخييلاتهم وسحرهم، لأن الله قوى نفس موسى بذلك الجواب لتكون غلبته عليهم بعد أن كانوا هم المبتدئين أوقع حجة وأقطع معذرة (١).

? ? : الأثر الذي تركه فعل السحرة على موسى والناس. وقد ورد في ثلاثة مواضع :

**الأول :** في سورة طه في قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى ﴿١١﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿١٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٨﴾ ﴾ .

**والموضع الثاني** في سورة يونس في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

**والموضع الثالث :** في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَكَرُوا عَيْنًا وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وهذه المشاهد تدل على أن الصور التي وردت فيها هذه الواقعة تتكامل فيما بينها لتنتج في النهاية منظومة متكاملة تحتوي على كثير من العظات والعبر. فهذه المشاهد تصور لنا الوقع الذي أحدثه عمل السحرة على الناس، فالمشهد الذي في سورة طه يصور لنا موسى عليه السلام وقد خيل إليه من فعل السحرة

(١) التحرير والتنوير ٨ / ٢٣٣ - ٢٣٤ بتصرف.

أن حبالهم وعصيتهم تسعى، وأوجس في نفسه خيفة، وخوفه هنا لم يكن بسبب شك في نصره الله له، أو بسبب قوة ما فعلوه، فهذا لا يليق بمقامه الشريف وما أيده الله به من المعجزات، وإنما كان خوفه راجعا إلى قلقه من أن تدخل على الناس شبهة فيما يرونه فيظنون أنهم قد ساووا موسى عليه السلام وبشبهه ذلك عليهم، وهذا التأويل متأكد بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ويحتمل أنه خاف حيث بدأوا وتأخر إلقاءه أن ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يليقهم فيدوموا على اعتقاد الباطل (١).

وحتى لا تكون هناك شبهة في موقف سيدنا موسى من عمل السحرة يأتي مشهد سورة يونس ليظهر لنا قوة وصلابة سيدنا موسى في مواجهة السحرة، فيقول الحق تبارك وتعالى حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ثم يأتي المشهد الذي في الأعراف ليبين لنا حال بقية الناس، ويظهر أن السحرة سحروا أعينهم ليخيلوا إليهم أن حبالهم صارت حيات تسعى على الأرض.

ومن هنا نستخلص من هذه المشاهد صورة واحدة لم تسلط على موسى وحده، وإنما امتدت إلى المشهد كله، فالنقطت الأثر الذي تركه فعل السحرة في المشاهدين جميعاً.

? ? : قول السحرة بعد أن ظهر الحق على يد موسى وبعد أن خروا سجداً، وقد ورد في ثلاثة مواضع :

**الموضع الأول :** في سورة الأعراف في قوله تعالى : ﴿قَالُوا ءَأَمْتَارِبِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٦) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ .

**والموضع الثاني :** في سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿قَالُوا ءَأَمْتَارِبِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ .

**والموضع الثالث :** في سورة طه في قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا

(١) مفاتيح الغيب ٢٢ / ٧٤ .





فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾

?? ? : في سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ  
قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ ۚ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ  
خَلْفٍ وَأَلْصِقَبَنَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

وبالتأمل في هذه المشاهد الثلاثة نجد أنها تصور لنا حالة الذعر التي أصابت فرعون بعد أن وقعت عليه مفاجأة إيمان السحرة فأخذ يتهدد السحرة ويتوعدهم، وبالروعة التعبير القرآني فإن كل مشهد فيها عبارة عن صورة مصغرة لهذه المواجهة، صورة تحمل طابعا خاصا وأسلوبا خاصا، ولكنها في النهاية تنتظم كلها لتعطينا صورة واحدة مكبرة تجتمع فيها كل جوانب هذه المواجهة بين فرعون والسحرة.

هذا ولتوضيح القول أكثر في هذه النقطة، فإنني سأستعرض الفوارق التعبيرية بين المشاهد الثلاثة لأبين أن تكرار هذه الواقعة يحمل الكثير من الفوائد.

### الملاحظة الأولى :

أنه قال في الأعراف : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ وقال في سورتي طه والشعراء : ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ ﴾ فصرح بـ « فرعون » في الأعراف وأضمره في سورتي طه والشعراء.

والحكمة في ذلك أن الذكر العائد إلى فرعون بعد في سورة الأعراف لأنه جاء في الآية العاشرة من الآية التي أضمر فيها ذكره وهي قوله : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ وجاء في الآية العاشرة من هذه السورة: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ ﴾ ولم يبعد هذا الذكر في الآيتين اللتين في سورتي طه والشعراء، لأن فرعون مذكور في سورة طه في جملة قومه الذين أخبر عنهم بقوله: ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ يَمُوسَى ﴾ وبعده ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿١١﴾ وهذا خطابه لفرعون وقومه وضميرهم منطو على ضميره إلى قوله : ﴿ فَاجْمَعُوا

كَيْدِكُمْ ثُمَّ أَتَوْا صَفَاءً ﴿ والذكر في قوله : ﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾ إنما هو في السابع من الآي التي جرى ذكره فيها، وكذلك في سورة الشعراء لم يبعد الذكر بعده في سورة الأعراف، ألا ترى أن آخر ما ذكر فيما اتصل بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وذكره بعد ذلك في الآية الثامنة من الآية التي جرى ذكره فيها فلما بعد الذكر في سورة الأعراف خلاف بعده في السورتين إذ كان في إحداها في السابعة وفي الأخرى في الثامنة وهي في الأعراف في العاشرة أعيد ذكره الظاهر لذلك (١).

### الملاحظة الثانية :

أنه قال في الأعراف : ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ وقال في سورتى طه والشعراء : ﴿ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾، وقد ذكر في حكمة ذلك أن الهاء في « آمنتم به » غير الهاء في « آمنتم له » وكل واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه الأخرى، فالتى في ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ لرب العالمين، لأنه تعالى حكى عنهم في سورة الأعراف في الآيات السابقة لهذه الآية أنهم قالوا : ﴿ ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهو الذي دعا إليه موسى ﷺ، أما الهاء في ﴿ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ ﴾ فلموسى ﷺ، والدليل على ذلك أن هذه الهاء جاءت في سورتى طه والشعراء وبعدها في كل واحدة منهما ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ فالهاء في « إنه » هي التي في « آمنتم له » ولا خلاف أن هذه لموسى ﷺ. والذي جاء بعد قوله « آمنتم به » قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أي : إظهاركم ما أظهرتم من الإيمان برب العالمين وقع على تواطؤ منكم أخفيتموه لتستولوا على العباد والبلاد، وإنما خص الموضع الأول بالباء لأن فرعون أراد أن ينكر عليهم إيمانهم بالله لأنه تقدم قولهم : ﴿ ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فقال : ﴿ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ ﴾ وأما سبب اختصاص الموضع الثاني باللام فلأن فرعون أراد أن يوضح علة إيمانهم بالله وهي ما ظهر لهم على يد موسى، فكأنه قال - أي في سورتى طه والشعراء - آمنتم برب العالمين لأجل ما ظهر لكم على يدي موسى

(١) درة التنزيل ص ٩٨، ووافقه على ذلك صاحب ملاك التأويل ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

﴿ من آيات ﴾ (١).

وعلى ذلك فاللام في ﴿ءَامَنَّمْ لَهُ﴾ هي لام التعليل، وليست اللام التي يتعدى بها فعل الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (٢) وبذلك تكون آية الشعراء قد أفادتنا معرفة علة إيمانهم من جهة نظر فرعون.

### الملاحظة الثالثة :

أنه قال في الأعراف : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وقال في الشعراء : ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أما سورة طه فلم يرد فيها ذكر لهذه الجملة.

والحكمة في ذلك ترجع إلى أن قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من الوعيد المبهم المعرض به، أي فعلت بجهل ما تعرف من بعد نتيجته، وطرحت بذر شر عند حصده تعلم نهايته، وهذا النوع من الوعيد أبلغ من الإفصاح بعذره، على أنه قد قرن إليه بيانه وهو : ﴿لَأُفِطَنَ أَيْدِيكُمْ﴾ فنطق القرآن بحكاية التعريض بالوعيد والإفصاح بالتهديد معا.

فأما اختصاص سورة الشعراء بقوله : ﴿فَلَسَوْفَ﴾ وزيادة اللام فلتقريب ما خوفهم به من اطلاعه عليهم وقربه منهم حتى كأنه في الحال موجودا، واللام للحال، والجمع بينهما وبين سوف التي للاستقبال إنما هو لتحقيق الفعل وإدناؤه من الوقوع كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣) فجمع بين اللام وبين يوم القيامة، كما جمع بينها وبين سوف على ما قاله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (٤) وقد بينا أن سورة الشعراء أكثر اقتصاصا لأحوال موسى عليه السلام في بعثه وابتداء أمره وانتهاء حاله مع عدوه، فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرب له المحقق وقوعه إلى اللفظ المفصح

(١) درة التنزيل ص ٩٨، وأسرار التكرار للكرماني ص ٩١.

(٢) يوسف : ١٧.

(٣) النحل : ١٢٤.

(٤) النحل : ٧٧.

بمعناه، ثم وقع الاختصار في السورة التي لم يقصد فيها من اقتصاص الحال ما قصد في سورة الشعراء على ذكر نقص ما في موضع البسط والشرح وهو التعريض بالوعيد مع الإفصاح به.

فأما في سورة طه فإنه اقتصر فيها على التصريح بما أوعدهم به وترك ﴿ فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ وقال : ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ إلا أنه جاء بدل هذه الكلمة ما يعادلها ويقارب ما جاء في سورة الشعراء التي هي مثلها في اقتصاص أحواله من ابتدائها إلى حين انتهائها وهو قوله بعده : ﴿ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ التَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ فاللام والنون في « لتعلمن » للقسم، وهما لتحقيق الفعل وتوكيده، كما أتى باللام في قوله : ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ لإدناء الفعل وتقريبه، فقد تجاوز ما في السورتين المقصود فيهما إلى اقتصاص الحالين من إعلاء الحق وإزهاق الباطل (١).

#### الملاحظة الرابعة :

أنه قال في الأعراف : ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وفي طه والشعراء : ﴿ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ ﴾ بالواو والمتوعد به واحد في الموضعين، فيسأل لم لم يكن العطف فيهما بحرف واحد ؟ والواو أنسب إذ التوعد بقوله : ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ ﴾ لم يقصد فيه تراخ في الزمان ولا مهلة فبابه أن يأتي بالواو أو بالفاء إن قصد رعي التعقيب فللسائل أن يقول : لم عدل في الأعراف إلى ثم ؟.

والجواب : أن ثم للتباين والتراخي في الزمان، ويعبر النحويون عن ذلك بالمهلة وتكون للتباين في الصفات والأحكام وغير ذلك مما يحمل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمنية بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله وأنه لو انفرد لكان كافيا فيما قصد به ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَّ ۝١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَّ ۝٢٠ ﴾ (٢) ﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ (١) ثم عطف بعد قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ

(١) درة التنزيل ص ٩٩، وملاك التأويل ص ٣٠٩.

(٢) المدثر : ١٩، ٢٠.

ءَامْتُوا ﴿<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ <sup>(٣)</sup> ولم يقصد في شيء من هذا ترتيب زمني بل تعظيم الحال فيما عطف وموقعه وتحريك النفوس لاعتباره، ولما تقدم في الأعراف تهويل الواقع من فعل السحرة وموقعه في نفوس الحاضرين، ولذلك أنس سبحانه نبيه موسى ﷺ بقوله : ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ووقع التعبير كما ذكرنا بقوله : ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ فناسبه رعيًا لفظيًا وتقابلاً نظميًا تهويل ما توعدهم به فرعون فعطف بثم لتحرز ما قصد فرعون من تعظيم موقع ما توعدهم به ثانيًا في قوله : ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ عليهم، وأيضًا فإن فرعون وملاءه حين رأوا ما جاءت به السحرة ووقع منهم موقعًا أطعمهم وتعلق به رجاؤهم، ثم لما وقع ما أبطله وأوضح كيدهم فيه وباطلهم الخيالي وجد الملاء لذلك واستشعر فرعون ما حل به وبمئلته، فهول في توعدهم ومقاله تجلدا وتصبرًا أو تعزية لنفسه عما نزل به فأرعد وأبرق في تهويله ما توعد به السحرة فقال : ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ فقد تناسب المتقابلان لفظًا ومعنى، ولما ضم الواقع في سورة الشعراء لم يحتج إلى هذا الرعي فعطف بالواو ولم يكن على ما تقرر ليتمكن العكس <sup>(٤)</sup>.

### الملاحظة الخامسة :

أنه قال في الأعراف على لسان السحرة ردا على تهديد فرعون : ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وفي الشعراء : ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ بزيادة «لا ضير» والحكمة في ذلك هي أنهم قابلوا وعيده بما يهونه ويزيل ألمه من انتقالهم إلى ثواب ربه مع المتحقق من منقلب معذبهم، فجاء في سورة الشعراء وهي التي قصد بها

(١) البلد : ١١.

(٢) البلد : ١٧.

(٣) طه : ٨٢.

(٤) ملاك التأويل ص ٣٠٩.

الاقتصاص الأكبر « لا ضير » أي : لا ضرر علينا فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبداً وتعذب أنت أبداً، فالضرر الذي تحاول إنزاله بنا يكون بك نازلاً وعلينا مقيماً، ونحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها فكأنه لم يلحقنا ضرر، وفي سورة الأعراف وقع الاقتصاص على قوله : ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وفيه كفاية وإبانة عن هذا المعنى ودلالة نبأ على ما فيها مما بين وشرح فيما سواها (١).

وقد ذكر صاحب ملاك التأويل حكمة أخرى، وهي أن قوله : « لا ضير » مقابل به ما تقدم من قوله : ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ لما اعتقدوه أولاً أن له عزة ونسبوا إليه فظنوا أنه يقدر على ما يريد ويستبد بفعله، ثم لما وضح لهم الحق ورجعوا عن اعتقادهم وظنوا وعلموا أن القدرة والعزة لله سبحانه، وسلموا لخالقهم ولم يبالوا بفرعون وملئه فقالوا : « لا ضير » أي : لا ضرر ولا خوف من فرعون إذ العزة لله وحده، ولما لم يقع من قولهم في الأعراف أولاً مثل الواقع هنا لم يجيئوا في الجواب بما جاءوا هنا فافترق الموضعان وجاء كل على ما يجب (٢).

وبعد هذا العرض لما يحمله كل مشهد من المشاهد الثلاثة من إضافات يتضح لنا مدى تناغم المواضع الثلاثة في توضيح هذه الحالة التي أصابت فرعون بعد إيمان السحرة، فإذا به ينكر عليهم إيمانهم بالله لأجل ما ظهر لهم على يد موسى عليه السلام، ثم يتهدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ثم صلبهم على جذوع النخل، فإذا بهم يقابلون هذا التهديد بكامل الثقة قائلين لا يضيرنا عذابك فإننا إلى الله راجعون.

(١) درة التنزيل ص ١٠٠.

(٢) ملاك التأويل ص ٣١٠.



# الخاتمة

## أسأل الله حسنها



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ويتوفيقه يصل المرء إلى أسمى  
الغايات

وبعد

ففي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي ظهرت لي من  
خلال هذا البحث، والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - إن تكرار القصة الواحدة في مواضع متعددة من القرآن هو صورة  
لأروع أنواع البلاغة، وأقوى تحديات الإعجاز، وأنفع أساليب البيان. فأما من ناحية  
البلاغة فإبراز المعنى الواحد في صور متعددة وأساليب متنوعة وألفاظ مختلفة  
رفيعة غاية في البلاغة، وأما من ناحية الإعجاز فإيراد المضمون الواحد في صور  
متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي، علما بأن  
العرب في ذلك الوقت وصلوا إلى قمة التفنن في البلاغة وحازوا قصب السبق في  
الفصاحة ومأوا الدنيا نثرا ونظما، وأما من ناحية البيان فتكرار القصة الواحدة  
يلفت الانتباه إليها ويشعر بالاهتمام بها، ويمكن الاعتبار بها في النفس، ويرسخها  
فيها على أساس أن ما تكرر تقرر.

٢ - في أثناء عرضي للمواقف الواردة في الدراسة التطبيقية ظهر لي أن  
القصة التي تكرر عرضها في أكثر من موضع في القرآن لم تكرر بصورة كربونية  
تشعر القارئ بالسآمة والملل كلا. ولكن القصة نفسها تحمل العديد من اللقطات  
والمشاهد والمواقف التي لا تستوعبها صورة واحدة، ولما كان الأمر كذلك وزع الله  
- سبحانه وتعالى - مشاهد ولقطات هذه القصة في أكثر من موضع في القرآن  
بحيث إنك إذا قمت بتأليف وتجميع هذه المشاهد وعرضتها دفعة واحدة بدت

القصة كلها أمامك وكأنها لوحة فنية متكاملة لا تحمل تكرارا ولا تناقضا، أو كأنها عقد فريد من جواهر متناسقة، ومادام الأمر كذلك فلا يضيرنا ورود القصة دفعة واحدة، أو ورودها متفرقة في عدة سور.

٣ - في كل موضع من المواضع التي كرر فيها عرض القصة نجد الكثير من الإضافات التي تظهر للقارئ جانبا لم يظهر في الموضع الآخر، وبذلك تتكامل المواضع كلها.

وبعد

فلا أدعي أنني قمت في هذا البحث بعمل كبير، وإنما هي قطرة في بحر عظيم مازلت أفق على شاطئه، وأسأل الله أن يوفقني لخوض غماره، كما أسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وصلي الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين

مقدمه

د/محمد عبد الوهاب الراسخ

## ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي « عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ » ط : المكتبة التوفيقية.
- ٣- أسرار التكرار. للكرماني، ط : دار الاعتصام - القاهرة، ط : الثانية ١٣٩٦ هـ.
- ٤- أصول التربية الإسلامية وأساليبها. لعبد الرحمن النحلوي، ط : دار الفكر -

- سوريا.
- ٥- الإطناب في قصص القرآن. عائشة أحمد عرسان - جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا - فلسطين ٢٠٠٩ م.
- ٦- إعجاز القرآن البياني. ت د / صلاح الخالدي، ط : دار عمار، ط : الثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٧- الأعلام لخير الدين الزركلي. ط : دار العلم للملايين، ط : الخامسة ١٩٨٠ م.
- ٨- بحوث في قصص القرآن. ت / عبد الحافظ عبد ربه، ط : دار الكتاب اللبناني - بيروت.
- ٩- البرهان في علوم القرآن. للزركشي « محمد بن عبد الله، ت ٧٩٤ هـ » تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط : دار المعرفة - بيروت - لبنان، ط : الأولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م.
- ١٠- تاج العروس للزبيدي. « محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ » ط : دار الهداية.
- ١١- تأويل مشكل القرآن. لابن قتيبة « عبد الله بن مسلم ت ٢٥٦ هـ » المكتبة العلمية - بيروت، ط : الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٢- التحرير والتنوير. للطاهر بن عاشور، ط : مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان، ط : الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٣- التصوير الفني للقرآن. للشيخ سيد قطب. ط : دار الشروق، ط : ١٧ / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٤- التعبير القرآني. ت / فاضل السامرائي، ط : دار عمار، ط : الثالثة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٥- تفسير « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي. « أبي عبد الله محمد بن أحمد ت ٦٧١ هـ » ط : دار الكتب المصرية - القاهرة - الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٦- تفسير ابن كثير . « إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ »، ط : دار طيبة، ط : الثانية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٧- تفسير الآلوسي. « شهاب الدين محمود الآلوسي ت ١٢٧٠ هـ » ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ.
- ١٨- تفسير البيضاوي. « عبد الله بن عمر ت ٧٩١ هـ » ط : دار الفكر - بيروت.

- ١٩- تفسير الخازن. « علي بن محمد ت ٧٤١ هـ ». ط : دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٠- تفسير الرازي. « محمد بن عمر ت ٦٠٦ هـ » ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢١- تفسير الطبري. « محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ »، ط : دار هجر، ط : الأولى.
- ٢٢- تفسير الكشاف. للزمخشري « محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ » ط : دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ.
- ٢٣- تفسير المنار. للشيخ محمد رشيد رضا، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٤- تفسير روح البيان. لإسماعيل حقي، ط : دار إحياء التراث العربي.
- ٢٥- تفسير معالم التنزيل. للبغوي « الحسين بن مسعود ت ٥١٠ هـ »، ط : دار طيبة، ط : الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٢٦- خصائص الأسلوب القصصي المعجز. ت/ محمود السيد حسن. ط : المكتب الجامعي الحديث.
- ٢٧- دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم. ت / برستو قياسوند، علي باقر طاهري، ط : التراث الأدبي.
- ٢٨- درة التنزيل وغرة التأويل. للخطيب الاسكافي ت ٤٢٠ هـ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط : الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م
- ٢٩- الصحابي في فقه اللغة. لابن فارس، ط : مؤسسة بدران - بيروت.
- ٣٠- طبقات المفسرين. للأندروسي، ط : مكتبة العلوم والحكم، ط : الأولى ١٩٩٧ م.
- ٣١- الفن القصصي في القرآن الكريم. ت / محمد أحمد خلف الله، ط : مكتبة الأنجلو المصرية، ط : الرابعة ١٩٧٢ م.
- ٣٢- في ظلال القرآن. للشيخ سيد قطب، ت ١٩٦٧ م، ط : دار الشروق - القاهرة.
- ٣٣- القاموس المحيط. للفيروز آبادي « محمد بن يعقوب، ت ٨١٧ هـ »، ط : دار الفكر ١٤٢٥ هـ - ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٣٤- قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني. ت / عبد اللطيف رجب القانوع - الجامعة الإسلامية - غزة - كلية أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن.
- ٣٥- لسان العرب. لابن منظور « محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ »، ط : دار صادر - بيروت.

- ٣٦- مباحث في علوم القرآن. للشيخ مناع القطان، ط : مكتبة وهبة، ط ١٣ / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٣٧- المفردات في غريب القرآن. للراغب الأصفهاني « الحسين بن محمد، ت ٥٠٢ هـ »، ط : دار العلم - دمشق.
- ٣٨- ملاك التأويل. لابن الزبير الغرناطي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٩- من روائع القرآن. ت / محمد سعيد رمضان البوطي، ط : مكتبة الفارابي.
- ٤٠- الموافقات في أصول الشريعة. للشاطبي « إبراهيم بن موسى، ت ٧٩٠ هـ » ط : دار ابن عفان، ط : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٤١- النشر في القراءات العشر. لابن الجزري، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- ٤٢- نظرات في القصص القرآني. ت / محمد قطب عبد العال، ط : مكة رابطة العالم الإسلامي.
- ٤٣- نظم الدرر للبقاعي. « إبراهيم بن عمر ت ٨٨٥ هـ » ط : دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٤٤- النكت في إعجاز القرآن. للرماني « علي بن عيسى ت ٣٨٤ هـ » ط : دار المعارف - القاهرة.

## الفهرس الموضوعي

الصفحة	الموضوع
٤٩١	مقدمة
٤٩٤	المدخل : ملامح القصص القرآني.
٤٩٥	? ? ? : القصة القرآنية « تعريفها وبيان فوائدها واستخدامها في القرآن الكريم »
٥٠١	? ? : خصائص القصة القرآنية.
٥٠٩	? ? : أنواع القصص في القرآن الكريم.
٥١٢	المبحث الأول : ظاهرة التكرار في القصص القرآني.
٥١٣	تمهيد :
٥١٤	? ? ? : وقفة مع مصطلح التكرار من حيث تعريفه وموقف العلماء من إطلاقه على البيان القرآني.
٥١٨	? ? : الرد على الشبهة المثارة حول التكرار في القرآن.
٥٢٥	? ? : دواعي تكرار القصص القرآني
٥٢٩	المبحث الثاني : نموذج تطبيقي يبرز أسرار التكرار في القصص القرآني « مواجهة سيدنا موسى مع فرعون والسحرة بعد إظهار معجزته ».
٥٣٠	تمهيد :
٥٣١	? ? ? : المواضع التي وردت فيها هذه المواجهة.
٥٤٣	? ? : بيان الفوائد والأسرار التي يمكن أن تستنبط من التكرار الواقع في هذه المواجهة.
٥٦٩	?
٥٧٢	? ??? ? .